الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون –تيارت-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في فلسفة العلوم

تخصص: فلسفة العلوم

إشكالية المنهج في دراسة الظاهرة الاجتماعية عند أوغست كونت

من إعداد الطالبتين:

❖ خليفي فتيحة

❖ روتال غنية

بإشراف الأستاذة:

- مبارك فضيلة

أعضاء لجنة المناقشة:

بن ناصر الحاجة:.....رئيسا

بلخير خديجة:.....مناقشا

مبارك فضيلة:.....مشرفا

السنة الجامعية: 2015-2016م/1436-143

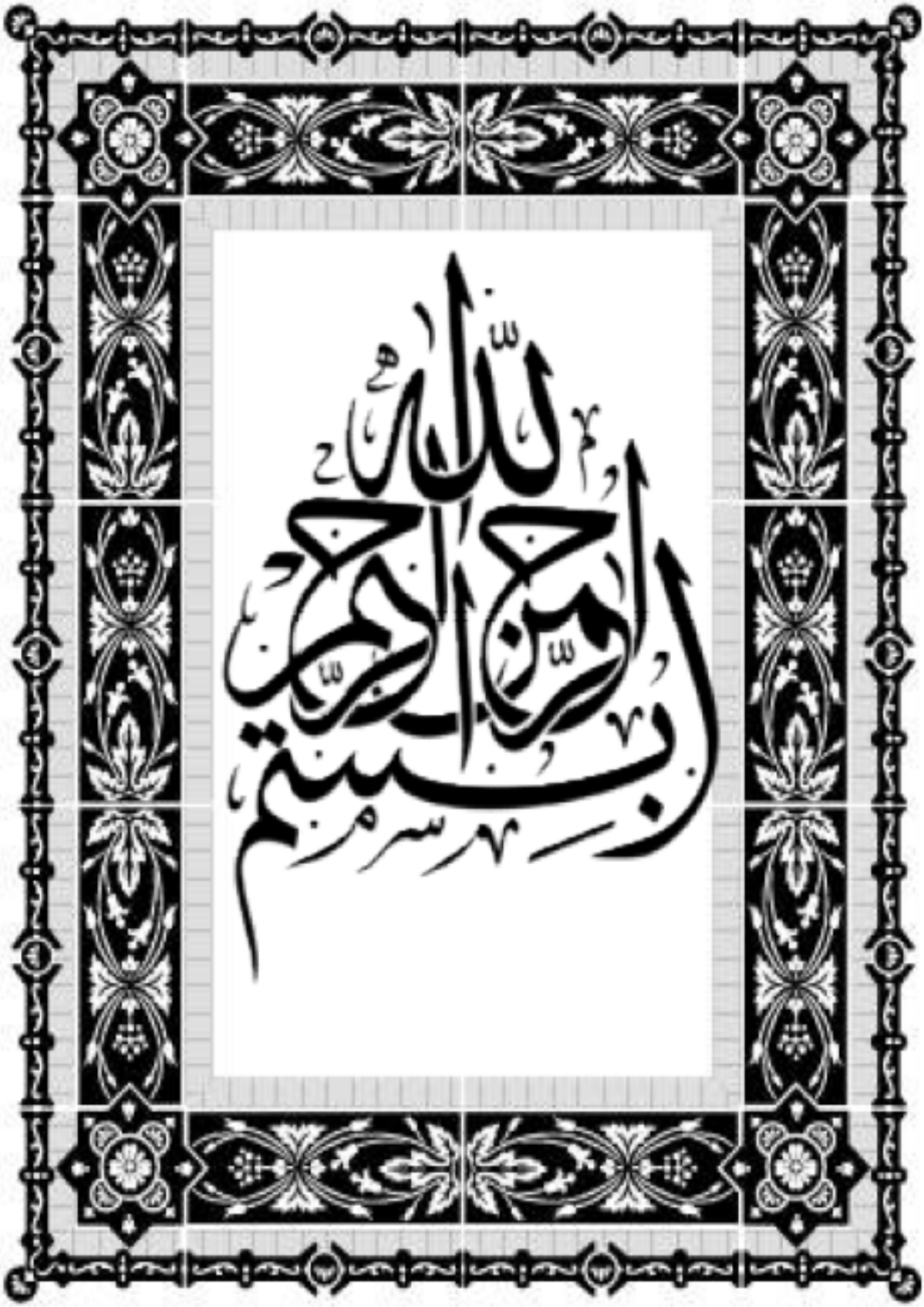
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير:

أول كلمة أنزلت على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هي كلمة﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق(1)﴾ (سورة العلق الآية 1)

ومهما بلغت درجة علمنا فالعلم بحر واسع

والحمد لله كثيرا نحمده ونستعين به لأنه قد وفقنا في مشوارنا الدراسي.والخيرة فيما اختاره لنا الله عز وجل، كما أتقدم بالشكر الخالص الذي ليس له مثيل إلى أستاذتنا التي مدت لنا يد العون وقدمت لنا نصائح منهجية وتربوية، صبرت معنا وعلينا وأعانتنا أعانها الله وجزاها خيرا وصحة وعافية،إلى أستاذتنا مبارك فضيلة. وإلى الأستاذ ورئيس قسم العلوم الاجتماعية موهوب مراد والأستاذ ميمون جزآهم الله خيرا .وكل أساتذة قسم العلوم الإنسانية، وإلى كل عمال مكتبة جامعة

ابن خلدون بتيارت.

إهداء:

أهدي نجاحي هذا إلى أمي الغالية زينب حفظها الله، فهي التي حملتني وتعبت في تربيتي، ولازالت تراني صغيرة في عينها مهما كبرت، جعل الله الجنة تحت قدميها وأنا لا أريد منها إلا رضاها فبدعواها أنا هنا اليوم.

وإلى والدي العزيز لخضر وهو أب لم أرى مثله في الدنيا، إلى الذي أعطاني دون مقابل، وإلى الذي سهر وتعب من أجلي، إلى أحن وأجمل إنسان وجد في حياتي أطال الله في عمره.

وإلى جدتي الغالية صفية حفظها الله وأطال لنا في عمرها، وأختي يمينة التي كانت لي سندا وأعانتني فرج الله عنها، وإلى ميمونة الأخت الحنونة، وإلى عائشة التي برؤيتها تزيل عني كل المتاعب، وإلى أخي ساعد ونور الدين وأختي فاطمة رحمها الله وظاوية وسعاد.

وإلى كل أحفاد الأسرة طه، رفيدة، خلود، أدم، ريهام، رفيق، جومانة، نور الهدى، زينة، أميمة، لينا، محمد، وإلى كل عائلة دحلاب وروتال.

وإلى أختي فاطنة بوبكور، وإلى صديقاتي النوية، منال ،نجاة ، صبرينة، بشرة، دزيري سعاد، خليفي فتيحة، فاطمة وإيمان، وفاطمة وبوحفص زهيرة.

"روتال غنية"

إهداء:

أهدي أول ثمرة نجاحي العلمي إلى نبع ورمز الأمان إلى اللذين يقفان إلى جواري يمداني بعونهما ودعواتهما ويشجعان على المضي قدما في سبيل البحث والعلم، إلى اللذين شهد الله لهما بحسن رعايتهما وبوجوب برهما والإحسان إليهما إلى أبي الحنون مصطفى وأمي الغالية مريم، وإلى من أستمد منهم قوتي إخوتي محمد وجيلالي وفتحي وإلى أخواتي خيرة وماريا ونجوى وخليدة، وإلى أولادهم نايل وسارة وإبراهيم وأمينة وعبد الحق وأمين وإلى كل عائلة خليفي وعائلة كواشي.

وإلى رفيق دربي وآسري وأسيري زوجي عصام وكل عائلة موغلي، وإلى حبيبة قلبي إسراء وأمها خالدية، وإلى كل عماتي وأعمامي وخالاتي وأخوالي وإلى نادية وفوزية وسامية، وإلى كل صديقاتي ورفيقات دربي خيرة، سعاد، غنية، سليمة، مخطارية، فاطمة، جميلة، ناجية.

"فتيحة خليفي"

مقدمة

مقدمة:

في النصف الأول من القرن ال19م قام الفيلسوف الفرنسي"أوغست كونت" بتأسيس علم الاجتماع الغربي، كما يعتبر من أهم رواده الأوائل الذين كانت لإسهاماتهم المبادرة الأولى في وضع الجذور الفكرية والأطر النظرية لنشأة علم الاجتماع. تلك الأطر مازالت تشكل كل من النظرية والمنهج ليس لعلم الاجتماع فقط ولكن لفروعه المتخصصة والمختلفة.

كما نجده قد عاش في الفترة مابين[1798-1857] والتي شهدت فيها فرنسا سبع نظم سياسية مختلفة، فجاءت انعكاساتها حادة ومتباينة على النظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، مما أثر على كتابات "كونت".

يعتبر "أوغست كونت" علم الاجتماع علما مستقلا في ذاته، لدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية، شأنه في ذلك شأن العلوم الطبيعية.

فكتب يقول:"إنه لدينا الآن فيزياء سماوية، وفيزياء أرضية، ميكانيكية أو كيميائية، وفيزياء نباتية وحيوانية، ومازلنا بحاجة إلى نوع آخر من الفيزياء هو الفيزياء الاجتماعية، حتى يكتمل نسقنا المعرفي عن الطبيعة. وأعني بالفيزياء الاجتماعية ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعا للدراسة، باعتبار هذه الظواهر من روح الظواهر العلمية والطبيعية والكيميائية والفيسيولوجية، من حيث كونها موضوعا للقوانين الثابتة".[1]

كما اعتقد"كونت" أن علم الاجتماع هو المظهر المتطور النهائي للمعرفة الإنسانية، وأنه يقوم على المناهج نفسها التي قامت عليها العلوم الطبيعية، وذلك بافتراض التماثل بين ما هو اجتماعي وما هو طبيعي.

أما من حيث الموضوع، فقد قسم علم الاجتماع إلى قسمين:

علم الاجتماع الإستاتيكي ويتناول ما هو ثابت نسبيا "المؤسسات والتنظيمات والنظم الأسرية

[1]-نقلا عن أحمد الخشاب: التفكير الاجتماعي"دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية"، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1981، ص545.

والسياسية والاقتصادية"، وعلم الاجتماع الديناميكي ويدرس التغير وحركة المجتمع. ومن ناحية أخرى اعتبر المجتمعات الإنسانية تمر عبر مراحل حتمية ثلاث: المرحلة اللاهوتية والمرحلة الميتافيزيقية والمرحلة الوضعية.

هناك عدة أسباب دفعتنا لدراسة هذا الموضوع الشائك ترجع في مقاصدنا العامة للتعرف على عالم الاجتماع في الغرب "أوغست كونت" الذي وجدناه قد عاش من أجل أفكاره ومبادئه، لعل من بين أهم الأسباب هو موقفه من عدم وجود الله وعدم وجود للمطلق والتي تتجلى في تصنيفه للعلم ومراحله، ووصفه للحالة اللاهوتية بالحالة غير الموجودة، أو هي تعبير عن أيام الطفولة، كما أنه وباعتباره مسيحي الأصل جعلنا نوضح أهم المواضيع التي ناقشها لما فيها من تأويل وكذب إن صح التعبير، وبالتالي وبغض النظر عن ديانته يمكننا تقدير نتائجه نظريا وعلميا.

كما تعود أسباب اختيار الموضوع لمدى أهميته ومن خلاله يمكن معرفة فلسفة "أوغست كونت" ومدى إسهامه في بناء علم الاجتماع الغربي. وكيف كانت ردة فعله على ثورة الناس ضد الكنيسة، ومعرفة القوانين الاجتماعية والمنهج الوضعي الذي أسسه.

نجد أنفسنا ونحن نطلع على حياة وفلسفة "أوغست كونت" أمام عدة تساؤلات حول منهجه ودراساته ومحتوى فلسفته، فالإشكال المطروح هو: من هو "أوغست كونت"؟ وكيف كانت فلسفته ومنهجه؟ وما هي أهم العوائق التي إعترضته في دراسة الظاهرة الاجتماعية؟ وكيف تجاوزها؟ وعلى أي أساس أقام نظرية المعرفة الخاصة به؟ وما هو المنهج الوضعي الذي أخرجه من فلسفته الوضعية؟ ما هو العلم في نظره وعلى أي أساس قسمه إلى لاهوتي وميتافيزيقي ووضعي؟ وهل دراسته للظاهرة الاجتماعية إشكالية موضوع ؟ أم إشكالية منهج؟ من هي الفئة التي قامت بنقد الفلسفة الوضعية؟ وما هي مبرراتها؟ وما هو البديل المعرفي لهذه الفلسفة أو لهذا الفيلسوف؟.

كانت خطة البحث عبارة عن مقدمة وفيها عرفنا بالموضوع وتقديم إشكالية تليق بالموضوع، والتي تروم المذكرة للإجابة عنها، كما تطرقنا لأهم الدراسات، إضافة إلى أسباب اختيارنا للموضوع بنوعيها:أسباب ذاتية، وأسباب موضوعية، ثم منهج الدراسة الذي اتبعناه، إضافة إلى ذكر بعض

الصعوبات التي تصادفنا معها أثناء البحث عن المعلومات، وهناك أربعة فصول كان الفصل الأول بعنوان جينالوجيا وكرونولوجيا وبه ثلاث مباحث: الأول معنون بشبكة المفاهيم، والمبحث الثاني بعنوان الفضاء الكرونولوجي للفيلسوف، والمبحث الثالث تناولنا فيه فلسفته ومنهجه، أما الفصل الثاني فكان بعنوان الفلسفة الوضعية وإمكانية الدراسة العلمية لعلم الاجتماع وكذلك إنطوى على ثلاث مباحث: المبحث الأول العوائق الإبستيمولوجية للظاهرة السوسيولوجية عند أوغست كونت، والمبحث الثاني كان بعنوان تجاوز العوائق الإبستيمولوجية في علم الاجتماع، والمبحث الثالث كان الموضوعية في الظاهرة الاجتماعية، والفصل الثالث كان بعنوان نظرية المعرفة وتطورها عند أوغست كونت وفيه ثلاث مباحث، المبحث الأول موسوم بنظرية المعرفة وإشكالية المنهج، والمبحث الثاني موسوم بنشأة العلم ومراحله، والمبحث الثالث: القوانين الاجتماعية، والفصل الرابع بعنوان مفهوم علم الاجتماع عند أوغست كونت بين القبول والرفض وكذلك به ثلاث مباحث المبحث الأول نقد الفلسفة الوضعية والمبحث الثاني البديل المعرفي للفلسفة الوضعية والمبحث الثالث آفاق البحث، وخاتمة كانت عبارة عن حوصلة، وقد اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على جملة من المصادر والتي ساعدتنا ومهدت لنا الطريق كمصدر ليفي بريل ترجمة محمود قاسم ومصدر بيار ماشيري ترجمة سامي أدهم ومصدر جورج سيتزر ترجمة محمد الجوهري وإضافة إلى عدد كافي من المصادر والمراجع والتي ساعدتنا بدورها في التأصيل للموضوع، و بعض المعاجم والموسوعات التي كانت بدورها قد ساعدتنا في فك وتحليل الكلمات المفتاحية وإزالة الغموض عن بعض العبارات، وأخيرا خاتمة كانت عبارة عن حوصلة ونتيجة أجبنا فيها على الإشكالية المطروحة مما سهل علينا إعطاء نظرة جديدة ساعدتنا في فهم فلسفة "أوغست كونت" والدراسات التي قام بها على المجتمع ليفهمه ويأصل له.

كما اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التحليلي الذي فرضته طبيعة الموضوع، مما ساعدنا في تفكيك وتبسيط الأفكار، وإزالة الغموض والإبهام على بعض العبارات لكي نسهل على المتطلع على بحثنا فهم موضوعنا.

بحثنا هذا ككل بحث ذو قيمة لم يخلو من الصعوبات رافقتنا منذ البدء فيه وحتى اللحظة الأخيرة، ومن أهم وأبرز الصعوبات التي شكلت لنا عائق كبير هي قلة مصادر ومؤلفات "لكونت" مترجمة باللغة العربية، وكذلك اعتمادنا على الكتب بصيغة "PDF" مما عسر صعوبة إمكانية التطلع على كامل الكتاب، بالإضافة إلى كثرة المواضيع في البحث مما يستوجب التركيز في اقتناء المادة الأساسية وإدراجها ضمن البحث.

تمت عدة دراسات في موضوع "أوغست كونت" فنجد مثلا:

- في جامعة منتوري بقسنطينة قد طرح موضوع العقل الوضعي عند أوغست كونت سنة2008، من طرف الطالب الطاهر مولف لنيل درجة الماجستير.
- في جامعة ابن خلدون بتيارت قد طرح موضوع نظرية المعرفة عند أوغست كونت سنة2015، لنيل شهادة الماستر من إعداد الطالبتين: بن عودة أمال وتاجي فاطمة الزهراء.
- وكذالك في جامعة ابن خلدون طرح موضوع الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت سنة2013، لنيل شهادة ليسانس من طرف الطالبتين: شرفي نعيمة وشنوف إسمهان.

تتلخص آفاق الدراسة فيما يلي:

إعطاء تفسير عن حالات الشعوب ومميزاتها والقيام أيضا بحل بعض المشاكل التي من شأنها أن تعرقل تطور هاته الأخيرة وهناك خاصية أخرى تكمن في السيطرة على الظاهرة الاجتماعية ومعرفة أحوالها حتى يسهل التعامل معها وقياسها وفق معايير معينة ورسم خطط يسير عليها المجتمع لتفادي كل أشكال الصراعات والتراعات والتي من شأنها أن تقضي على الشعوب وتغيب دور الفكر الذي هو دائما في صراع مع الطبيعة من أجل تحقيق غاية ما وهي البحث عن المعرفة وهذه الأخيرة بدورها تكون مطلقة قائمة على أساس موضوعي، وهذا هو المطلب الدائم للعلم.

وتكمن أهمية بحثنا في إيضاح وتبيين الدراسات العلمية للظواهر الاجتماعية التي أصبحت مثلها مثل الظواهر البيولوجية، تفسر وتحلل عن طريقة التجربة، وهاته الأخيرة أصبحت عنصر مهم

لاكتشاف المعارف المرتبطة بالمجتمعات مع مراعاة الفروقات والاختلافات الموجودة في الوسط المدروس.

الفصل الأول: جينالوجيا وكرونولوجيا.

المبحث الأول: شبكة المفاهيم.

المبحث الثاني: الفضاء الكرونولوجي للفيلسوف.

المبحث الثالث: فلسفته ومنهجه.

المبحث الأول: شبكة المفاهيم

لقد أصبح علم الاجتماع علم قائما بذاته مستقلا له مفاهيم ودلالات تميزه عن غيره من العلوم.

أ/ تعريف المنهج:

تشتق كلمة منهج "méthode" من فعل "نهج"وهو يعني سلك وسار وتبع. فمنهج اسم مكان لفعل "نهج" ويعني الطريق أو السبيل، وقد عرفه المعجم الفلسفي باللغة العربية بأنه الطريق الواضح في التعبير عن شيء طبقا لمبادئ معينة وبنظام معين بغية الوصول إلى غاية معينة.

والكلمة بالعربية الكلمة"méthode"الإنجليزية التي تعني الطريقة أو النظام وأصلها يوناني استعملها اليونانيون القدامى بمعنى البحث أو المعرفة.

والمنهج بشكل عام هو الطريقة التي يسلكها الباحث للإجابة على الأسئلة التي تثيرها مشكلة موضوع البحث، فعندما يواجه الباحث أو الإنسان العادي مشكلة ما فإنه يبدأ بالتفكير كيف سيحل هذه المشكلة.

والمنهج هو طريقة الحل، فإما أن تكون طريقة الحل غير علمية أي تعتمد على الأساطير والأفكار المسبقة غير المبرهن عنها ودون الرجوع إلى واقع الظاهرة بالملاحظة والتجربة والمقارنة[1].

ومن هنا يعتبر المنهج الوسيلة الفعالة التي تبني المعرفة وتسهل عملية الوصول إليها لأنها ترتكز على جملة من الأسس والمبادئ العلمية.

ب/ الإنسانية:

في اللغة الفرنسية تسمى:"humanité "والإنسانية تدل على ما اختص به الإنسان من الصفات[2].

[1]-إبراهيم إبراش: المنهج العلمي وتطبيقاته، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (ط1)، 2009، ص65.

[2]- جميل صليبا: المعجم الفلسفي(ج1)، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1982، ص 158.

وأكثر استعمال هذا اللفظ في اللغة العربية إنما هو للمحامد نحو الجودة والكرم وغيرها.
والإنسانية عند الفلاسفة القدماء هي المعنى الكلي المجرد الدال على ما نقوم به ماهية الإنسان والدليل على ذلك قول ابن سينا: "مثل الإنسانية، فإنها في نفسها حقيقة ما، وماهية ليس أنها موجودة في الأعيان مقوما لها بل مضاف إليها، ولو كان مقوما لها لاستحالة أن يتمثل معناها في النفس خاليا عما هو جزؤها المقوم". والإنسان عندهم لا يبلغ أعلى المراتب الإنسانية إلا بإخراج ما في قوته إلى الفعل حتى يصبح إنسانا كاملا.

قال أبو حيان التوحيدي: "الإنسانية أفق، والإنسان متحرك إلى أفقه بالطبع ودائر على مركزه، إلا أنه مرموق بطبيعته".والإنسانية هي المعنى الكلي الدال على الخصائص المشتركة بين جميع الناس كالحياة، والحيوانية، والنطق، وغيرها.

الإنسانية: هي مجموع خصائص الجنس البشري المقومة لفصله النوعي التي تميزه عن غيره من الأنواع القريبة. مثال ذلك قول أوغست كونت: "إن المثال الأساسي للتطور الإنساني فرديا كان أم جماعيا يقوم في علم الاجتماع الوضعي على تغلب إنسانيتنا على حيوانيتنا"[1].

ج/ علم الاجتماع:

في اللغة الفرنسية sociologies ويطلق اسم جماعة على عدد من الأشخاص الذين تقوم بينهم علاقات اجتماعية منتظمة، ويوجد بينهم قدر من التعاون (ليس تعاونا كاملا) وبحيث يمكن التمييز بين أعضاء الجماعة وغير الأعضاء فيها، وهذه السمة "تميز الأعضاء عن غير الأعضاء"، يطلق عليها اسم "الشعور بالنحن" عادة. هو الدراسة المنهجية المنضبطة وتفسير العلاقات الاجتماعية المنتظمة. ومحاولة التعرف على أسبابها والظروف المؤثرة فيها والنتائج التي تترتب عليها[2].

[1]-جميل صليبا: المعجم الفلسفي (ج1)، المرجع السابق، ص 158.

[2] محمد الجوهري: المدخل إلى علم الاجتماع، القاهرة، مصر، (ط1)، 1984، ص 77.

أوغست كونت أول فيلسوف أوروبي استعمل مصطلح علم الاجتماع وأطلقه على البحث في الظواهر الاجتماعية، حيث قال: " أعتقد أنه يجب علي أن أخاطر بنفسي منذ الآن في استعمال هذا الاصطلاح الجديد بدلا من اصطلاح الفيزياء الاجتماعية الذي استعمله سابقا، وذلك للدلالة باسم واحد على ذلك القسم الإضافي من الفلسفة الطبيعية المتعلق بدراسة القوانين الخاصة بالظواهر الاجتماعية ".

وينقسم هذا العلم عنده إلى قسمين:

أولهما: السكون أو التوازن الاجتماعي "statique social"

وثانيهما: الحراك الاجتماعي "dynamique social". ومعنى ذلك كله أن علم الاجتماع يبحث في الظواهر المادية أو الحيوية[1].

إن التأصيل لعلم الاجتماع كانت له بدايات أولى في الفلسفات القديمة، لكنه أصبح علما يستند عليه لتفسير الظواهر مع ابن خلدون الذي أعطى لعلم الاجتماع نظرة مغايرة ولكن يبقى الفيلسوف الفرنسي أوغست كونت هو الذي أصل لعلم الاجتماع تأصيلا علميا عمليا.

د/ الديناميكا:

في اللغة الفرنسية dynamique وهي قسم من علم الميكانيكا يبحث في الحركات المادية من جهة علاقتها بالقوى التي تحدثها. ومن عادة العلماء أن يقسموا علم الميكانيكا mécanique إلى ثلاثة أقسام وهي:

1/ علم الستاتيكا: statique وموضوعه دراسة توازن القوى المؤثرة في الأجسام الساكنة[2].

[1] -جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (ج2)، دار الكتاب اللبنانية، بيروت، لبنان، (د.ط)،1982، ص 38.

[2] -جميل صليبا: المعجم الفلسفي (ج1)، المرجع السابق، ص ص574،575.

2/ علم السينماتيكا: cinématique وموضوعه دراسة الحركات بصرف النظر عن الأسباب أو القوى التي تحدثها.

3/ علم الديناميكا: dynamique ويطلق"هاربرت" لفظ الديناميكا على دراسة حالات الشعور من جهة اتصافها بالحركة و التبدل، ولفظ الستاتيكا يطلق على دراسة حالات الشعور من جهة اتصافها بالتوازن .

ومن ذلك أطلق"أوغست كونت"و"سبنسر" لفظ السكون الاجتماعي statique sociale على توازن الجماعات، ولفظ الحراك الاجتماعي dynamique sociale على تقدم الجماعات وتطورها، والديناميكي أو ألحراكي مقابل السكوني لأنه يتضمن معنى التبدل و الصيرورة، ومقابل للميكانيكي أو الآلي، لأنه يتضمن معنى الغائية و معنى القوة الفاعلة، لا مجرد ارتباط الحركات ارتباطا ضروريا وفق قوانين ثابتة. ويطلق لفظ الديناميكي مجازا على الرجل المتصف بالنشاط القادر على تفجير الطاقات الكامنة. والديناميكا مذهب فلسفي مقابل للميكانيكا أو الآلية يطلق على الفلسفة التي تفسر جميع الظواهر المادية بقوى.

ويطلق لفظ الديناميكا أيضا على المذاهب الفلسفية التي ترى أن الحركة أو الصيرورة أولية وأن حقيقة المادة هي الحركة[1].

ه/ الظاهرة الاجتماعية:

1/ تعريف الظاهرة: هي ما يعرف عن طريق الملاحظة والتجربة سواء كانت الظواهر"طبيعية، نفسية، اجتماعية". ويطلق هذا المصطلح على جملة الوقائع التي تكون مادة للطبيعة[2].

الظاهرة الاجتماعية: [3]

[1] -جميل صليبا: المعجم الفلسفي (ج1)، المرجع السابق، ص ص،574،575.

[2] -جميل صليبا:المعجم الفلسفي، (ج2)، المرجع السابق، ص30.

[3] -إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، مصر، (ط1)، 1983م، ص121 .

هي كل ظاهرة قوامها علاقة بين أفراد و يصحبها شعور سلطان المجتمع وهي موضوع دراسة علم الاجتماع وتنشأ عن اجتماع الناس بعضهم بعض ولا تكون وليدة مزاج أو إرادة فردية[1].

و/ المذهب الوضعي:

هو موقف فلسفي يدعى أنه يمكن اشتقاق المعرفة من التجربة الحسية، وبهذا يرفض التأمل الميتافيزيقي و الإدراك والحدس و التحليل المنطقي الخالص، لأنها وسائل تقع خارج نطاق المعرفة الحقيقية أو الواقعية، وتنظر الوضعية إلى مناهج العلوم الطبيعية بوضعها الوسائل الوحيدة الملائمة للحصول على المعرفة، الأمر الذي يتعين معه على العلوم الاجتماعية أن تقتصر على استخدامها ومع أن هناك اتفاق على أن"أوغست كونت"هو مؤسس هذا الاتجاه[2].

الوضعي:

من الأشياء ما كان متحققا في عالم الحس و التجربة و إن كانت أسبابه القصوى وقوانينه التي شرعها الله و فرضها على الطبيعة مجهولة لدينا وقريب من هذا المعنى إطلاق هذا اللفظ في فلسفة "أوغست كونت" على الواقعي أو الفعلي المستقل عن الشرع الإلهي[3].

فالوضعي بهذا المعنى مرادف للحقيقي، والتجريبي مقابل التأملي و الخيالي و الوهمي[4].

والمذهب الوضعي هو الرأي القائل بأن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية ولاسيما تلك التي ينتجها العلم وينطوي المذهب عادة على إنكار وجود معرفة نهائية أي معرفة تتجاوز التجربة ولاسيما فيما يتعلق بالعلل النهائية. نجد لكلمة الوضعي لدى كونت تفسيرا واسعا و تقنيا[5]

---

[1]-إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص121 .

[2] -محمد عاطف غيث: قاموس علم الإجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 1999، ص312.

[3] -جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (ج2)، المرجع السابق، ص588.

[4] -أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، (د.ط)،(د.س)، ص321.

[5]- عدناني رزيقة: الكافي في الفلسفة، الجزائر، (ط3)، 2004، ص390.

بحيث يستعملها وفقا للمعنى الذي حدده كلمة chiméque وهمي و خيالي و utile أسلافه. لكن وحسب المفهوم المشترك تعني نافع Positif واقعية. وفكرة الوضعية عند كونت جوهرها عن إتجاه فلسفي يريد تحرير العلم من الميتافيزيقا وتأملاتها وهي تفسر كل ما هو واقعي معتمد على الملاحظة والتجربة[1].

ي/ نظرية المعرفة:

المعرفة هي مجموعة من المعاني والمعتقدات والأحكام والمفاهيم والتصورات الفكرية، التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولته المتكررة لمعرفة الظواهر والأشياء التي تحيط وتتصل به، فالإنسان يكتسب أنواعا من المعرفة .

أولها يتعلق بتكوينه الحيواني من إحساس وشعور وميل نحو ما يجلب اللذة والابتعاد عما يجلب الألم وتأتي بعد ذلك أنواع المعرفة التي يمكن أن تسميها إنسانية، وهي التي يختص بها الإنسان ويرتفع بها عن مرتبة الحيوان، وهذه المعرفة تتطلب استخدام العقل وتأويل الصور الحسية، والتي تؤدي إلى إبداء الآراء وتكوين الأحكام. وعلى ذلك فالمعرفة هي كل ما يتحقق للإنسان أو كل ما يحصله الإنسان بعقله أو جسمه أو بحدسه[2].

وهي أيضا نظرية تبحث في مبادئ المعرفة الإنسانية، وطبيعتها، ومصدرها، وقيمتها، وحدودها[3].

والجدير بالذكر أن العلم والمعرفة العلمية يمثلان المرحلة الأخيرة من تاريخ الفكر الإنساني الذي أشار إليه أوغست كونت بقانون المراحل الثلاثة، والذي قال فيه بأن الفكر الإنساني قد مر بثلاث مراحل:[4]

اللاهوتية أو الغيبية، يليها الفلسفية أو الميتافيزيقية، وأخيرا المرحلة العلمية الوضعية.

---

[1] -عدناني رزيقة: الكافي في الفلسفة، المرجع السابق، ص390.

[2] -حسين عبد الحميد أحمد رشوان: نظرية المعرفة والمجتمع "دراسة في علم الاجتماع المعرفة"، مؤسسة الشباب الجامعية الاسكندرية، مصر، (د.ط)، 2008، ص8.

[3] -جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (ج1)، المرجع السابق، ص210.

[4] -حسين عبد الحميد أحمد رشوان: نظرية المعرفة والمجتمع "دراسة في علم الاجتماع المعرفة، المرجع نفسه، ص4.

وفي المرحلة الأخيرة تخلص الإنسان من التفسيرات الغيبية والدينية والفلسفية، ولجأ إلى قواعد المنهج العلمي في التعرف على الأشياء والكشف عن الظواهر لتفسيرها والتنبؤ بها، والسيطرة عليها وفق قوانين محددة[1].

[1] -حسين عبد الحميد رشوان: نظرية المعرفة والمجتمع "دراسة في علم إجتماع المعرفة"، المرجع السابق، ص ص4،5.

المبحث الثاني:الفضاء الكرونولوجي للفيلسوف.

أ/ حياته:

ولد "أوغست كونت" بمدينة مونبيليه الفرنسية عام 1798م، ورث عن والدته تدينها مما جعله فيما بعد ينشد تحقيق الوحدة الدينية، أو ما يطلق عليه اسم "ديانة إنسانية"، ومنذ عام "1807-1814" التحق "كونت" بالدراسة الثانوية حيث أظهر ميلا أدبيا إلى جانب قراءاته التحريرية و الثورية، ومنذ عام "1814م-1816م" التحق "كونت" بمدرسة الهندسة الحربية العليا ونظرا لحماس"كونت" الشديد لنابليون عند عودته من جزيرة "ألبا" واستقباله للإمبراطور عند زيارته للمدرسة لاختيار بعض الضباط فإن المدرسة وُضعت في القائمة السوداء، وذلك بعد هزيمة "نابليون"، ثم أُغلقت في أفريل1816م، وفي باريس حاول "كونت" أن يبحث عن عمل يقتات هناك بجانب إعطاءه لبعض الدروس الخصوصية، أخذ في دراسة أراء كثير من الفلاسفة، وكتب مقالته التي عنوانها "أرائي" كما ساعد في تحرير مقالات أخرى عن حرية الصحافة.

وفي عام 1817م التقى "كونت" "بسان سيمون" وهو أحد دعاة المذهب الاشتراكي في القرن 19م، والذي اشتهر بآراءه الخاصة بالإصلاح خاصة في مجال الصناعة، وظل"كونت" يعمل سكرتيراً، "لسان سيمون" حتى عام 1824م. نشر "كونت" الجزء الأول من كتابه عن الفلسفة الوضعية والذي اعتبره "لسان سيمون " جزءا ثالث لتعاليمه بينما نادي "كونت" بأن هذا العمل هو البذور الأولى لأفكاره عن الوضعية. وشيئا فشيئا اختلفت أراء "كونت" عن مذهب أستاذه وانفصل كل منهما عن الآخر. وفي أبريل 1826م بدأ "كونت" تنظيم محاضراته في مترله عن "الفلسفة الوضعية" وبسبب مشاكل عائلية أصيب "كونت" باضطراب عقلي ونفسي ثم عاد إلى حالته الطبيعية ومارس نشاطه العلمي في يناير 1829م فأخذ يتابع إلقاء دروسه في الفلسفة الوضعية[1].

وكان يتردد عليه الكثير من علماء النفس والطبيعة في ذلك الوقت. وفي هذا العام نفسه طبع كونت المجلد الأول في كتابه الجديد "دروس في الفلسفة الوضعية " والذي اتجه فيما بعد في

[1]-محمد احمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2008، ص ص165،166.

ستة مجلدات من عام 1842م. كذلك نظم كونت دروسا أخرى في علم الفلك. إستمرت سبعة عشر عاما. ومنذ عام 1842م توالت على كونت سلسلة من المحن فقد انفصل عن زوجته ثم فقد وظيفته كممتحن في المدرسة الهندسة كما استغني المعهد العلمي عن خدماته فحرم بذلك من كل مصادر الرزق حتى أنقذه "جون ستيوارت ميل" وأرسل له تبرعات من بعض أغنياء الإنجليز وفي عام 1844م كتب "كونت" مقالا افتتاحي الموسوعة الفلسفية لعلم الفلك عن التفكير الوضعي فأثار هذا المقال إعجاب الكثير و على رأسهم العالم لينياديه فكتب العديد من المقالات في مدح "كونت" ودعا إلى التبرعات له وكون جماعة أنصار الفلسفة الوضعية.

ويذكر الذين كتبوا عن حياة "كونت" إنه التقى في عام 1844م بسيدة في الثلاثين من العمل تسمى " كلوتيلد دي فو " كانت على مستوى عالي من الجمال و الفكر.

ولقد أثرت أثرا عميقا في حياته وصبغت آراءه بصبغة جديدة جعلها أشبه ما تكون برسالة دينية ونظرا لمرضها فلم يستطيع "كونت" إلا أن يكون صديقا مخلصا. وتحولت العلاقة إلى نوع من الامتزاج الفكري ونوع من التقديس وقد ظهرت هذه العاطفة في شكل واضح بعد وفاتها في عام 1846م حيث احتلت الرثاء في كتاباته مكانا لم يكن يقره من قبل ووهب"كونت"حياته بأسرها لعلمه ولقد أدي تأثيره بمعودته إلى أن يكتب إحدى عشر رسالة فلسفية في ديانة الإنسانية جعلها على هيئة حواريين امرأة و بين راهب يمثل الإنسانية. وعاش"كونت" بعد المأساة حياة كلها زهد وتقشف إلى أن انتابته أزمة حادة في الخامس من سبتمبر1857م ،أدت إلى وفاته وهو بين الكثير من أتباعه[1].

ب/ مؤلفاته:

1. *plan des travaux : scientifiques nécessaires par réorganiser la société in opuscules de philosophies social 1883

[1]-محمد احمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص ص165،166.

2. *cours de philosophie positive. Augmenté d'une préfacé par E. Littré, 6 volumes, 2 édition 1864.
3. *discours sur l'ensemble du positivisme >in système de politique positive E.I.1851
4. *<discours sur l'esprit positif in traité philosophique d'astroncoie populaire 1844.
5. *système de politique positive 4 vols1851-4.
6. *catéchisme positives te 1852.
7. *synthèse subjective .t.I.1856 .
8. *lettres d'auguste comte /j. Stuart Mill <1841/1846> 1877.
9. *lettres à valat<1815-1844> 1870
10. *correspondance inédite .4 vols, 1901-4.
11. *lettre et fragments de lettres, Sãopaulo1926.
12. *vouvelles lettres inedites.1939
13. [1]*Litres :August comte et la philosophie positive 2em édition1864.

ج/ المرجعية الفكرية :

اتخذ مؤسس علم الاجتماع الحديث "1857/1727" موقفا وسطا بين فكر عصر التنوير الثوري والفكر المضاد له المتمثل بالحركة الرومانسية وهو موقف سيتبناه من يخلفه في تيار البنائية الوظيفية إذا أقر النظرة العلمية التي نادى بها فلاسفة عصر التنوير بل أنه هو ذاته أسس مذهبا يعرف "بالوضعية" [يحصر نفسه في حدود التجريبية وحدها بحيث لا يجاوز عالم الأشياء العينية التي تدركها الحواس] وتأسيسا على ذلك فقد رفض كونت الشق الثاني من أراء عصر التنوير قصد تلك الآراء الثورية النقدية. بدعوى أنها تأملات فلسفية عقيمة لا يسندها أي واقع فعلي قابل للقياس وهو موقف وصفه في مصاف المفكرين الرومانسيين. فقد رأى كونت " أن حركة المجتمع تخضع بالضرورة لقوانين فيزيائية لا تتغير بدلا من أن يحكمها نوع من الإرادة" [2].

[1]-عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة (ج2)، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، (ط1)، 1984، ص315 .

[2]-إيان كريب: النظرية الإجتماعية من "بارسونز إلى هابرماس"، تر: محمد حسن علوم، مرا: محمد عصفور، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت، (د،ط)، 1999م، ص ص12،13.

واقترن تمسكه بالمنهج العلمي برفضه لادعاء الإنسان أنه قادر على تغيير نظمه الاجتماعية و إعادة تنظيمها وفقا لإرادته العالقة كما كان يصر فلاسفة عصر التنوير. إذن تصبح مهمة علم الاجتماع - وهو الاسم الذي سلكه بديل عن الفيزياء الاجتماعية للكشف عن القوانين الحاكمة للحياة الاجتماعية بمنهج وصفي بغية الاستفادة منها والتأقلم معها وليس بهدف تغيرها[1].

[1]-إيان كريب: النظرية الإجتماعية من "بارسونز إلى هابرماس"، المصدر السابق، ص13.

المبحث الثالث: فلسفته ومنهجه

أ/ فلسفة أوغست كونت :

كرس أوغست كونت حياته كلها لعرض مذهبه في الوضعية ولكن يمكن تقسيم تطوره إلى قسمين رئيسين.

1/ القسم الأول: يتمثل في محاضراته بعنوان:محاضرات في الفلسفة الوضعية في الستة أجزاء سنة 1830م سنة 1842م.

2/ القسم الثاني: يتمثل في المؤلفات التالية:

أ) التقويم الوضعي سنة 1829م.

ب) الوضعية على طريقة السؤال والجواب سنة 1852م.

ج) المذهب الذاتي سنة 1856م [1].

يرى كونت أن علم الاجتماع هو نقطة بداية و نهاية في نفس الوقت لفلسفته الوضعية ومعنى هذا أن علم الاجتماع كما تصوره كونت هو بمثابة درجة في الفلسفة الوضعية هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن كونت يعتقد أن الفلسفة الوضعية غير ممكنة إلا بعد نشأة هذا العلم. وفي هذا المعنى نجد كونت يقول في بداية كتابه "دروس في الفلسفة الوضعية" إن الفلسفة الوضعية ستكتسب بسبب إنشاء علم الاجتماع طابع الهموم الذي مازال ينقصها وستصبح بهذه الوسيلة قادرة على احتلال مكان الفلسفة اللاهوتية والميتافيزيقية ويختم كونت هذا الكتاب بقوله "أن إسناد علم الاجتماع ماجاء اليوم لتحقيق الوحدة الأساسية في المذهب الكامل للفلسفة الحديثة"[2].

ولقد أدرك كونت أهمية هذا العلم الجديد ونجده يقول: إنه لدينا الآن فيزياء سماوية وفيزياء أرضية ميكانيكية أو كيماوية. وفيزياء حيوية ولازلت بحاجة إلى أخرى خيرا من الفيزياء هو الفيزياء الاجتماعية ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعا لدراسة باعتبار أن

[1]-عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة (ج2)، المرجع السابق، ص312.

[2]- محمد احمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص ص 167،168.

هذه الظواهر من نفس روح الظواهر الفلكية والطبيعية والكيماوية والفسيولوجية من حيث كونها موضوعا لقوانين الطبيعية الثانية قد كان هدف كونت من هذا العلم الجديد هو تحقيق الآتي.

1/ اكتشاف سلسلة التحولات الثابتة المتتابعة للعنصر الإنساني الذي بدا من مستوى لا يرقى عن المجتمعات القردة العليا وتحول تدريجيا فعلم الاجتماع عند كونت هو دراسة كلية لظواهر الإنسان والأفعال الإنسانية الناتجة.

2/ ومما لاشك فيه أن الضرورة التي دفعت كونت إلى إسناد هذا العلم الجديد هي رغبته في إصلاح المجتمع الفرنسي في عصره من مظاهر الفوضى التي تفشت في أركانه وكما بينا أن كونت ينظر إلى الفلسفة على أن ليس لها هدف في شؤون الاجتماع والأخلاق والسياسية والدين. ويرى كونت أن تنظيم هذه الشؤون لا يتم إلا إذا سبقه تنظيم عقلي لآراء ومنهج البحث وطريقة التفكير.

قانون الحالات الثلاث :

يرى كونت أن التنظيم العقلي هو أساس تنظيم لذلك نجده أخذ يبحث عن مجموعة من المبادئ التي تثقف بصدها جميع العقول وتواصل في نتجه لتطور منهج التفكير الإنساني إلى قانونه المشهور باسم قانون الحالات الثلاث وقد حدد كونت صيغة هذا القانون في هذه العبارة "بناء مع طبيعة العقل الإنساني نفسها لابد لكل فرع من فروع معرفة من المرور في التطور بثلاث حالات متعاقبة، الحالة اللاهوتية الخرافية والحالة الميتافيزيقية أو التجريدية والحالة الوضعية (العلمية). طريقة التفكير الأولى"أي اللاهوتية هي نقطة البدء للذكاء الإنساني، أما الثانية أي الميتافيزيقية فإنها فقط[1] مرحلة انتقال بينما الثالثة هي حالته النهائية".

1/ الحالة اللاهوتية:

يقصد كونت بالحالة اللاهوتية الطريقة التي تفسر الظواهر بالرجوع إلى أداة الآلهة أو الأسباب الخارقة للطبيعة أو القوى الخفية فكلمة لاهوتي لا يقصدها إذن التعرض للإلهيات أو

[1]- محمد احمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص168.

العقائد وإنما هي مرادفه لنوع من التفكير وتفسير الظواهر بالرجوع إلى أسباب "خرافية" أو "خيالية" أو " أسطورية " وهذه الطريقة هي التي كانت سائدة في مرحلة الطفولة عند الإنسانية ويجب أن نلاحظ آنذاك أن كونت حين بين أن التفكير اللاهوتي قد أفسح المجال أمام التفكير الوضعي أو العلمي لم يقدر بتاتا أن تختص العقيدة الدينية بتطور التفكير في الحالة اللاهوتية إلى الحالة العلمية. بل أنه كان على

العكس الشديد للإقناع بوظيفية الدين في المجتمع وكان يرجو أن تتطور العقيدة حتى تنتهي إلى الديانة الوضعية (أو الديانة الإنسانية) وعلى ذلك فقانون الأحوال الثلاث لا يعبر إلا من تطور التفكير وتقدم الذكاء الإنساني والأشياء له بالتطور الديني للإنسانية.

2/ الحالة الميتافيزيقية :

تعد مرحلة التفكير الميتافيزيقي مرحلة انتقال بين الحالة الدنية والحالة الوضعية والواقع أن العقل البشري لم يغير فيها كثيرا عن طرق تفكيره ولا من الوسائل التي تبحث بها عن ماهية الأشياء. فكل ما كان يشغله هو معرفة السبب أو العلة الأولى للظواهر التي تقع تحت حسه. ولكن انتظام هذه الظواهر جعلته يتقدم خطوة في سبيل المعرفة. فبعد أن كان في المرحلة اللاهوتية يرجع كل شيء إلى قوة خارجية تتمثل في الآلهة أو الأرواح الخفيفة أصبح في المرحلة الميتافيزيقية يتخيل قوى وخواص أولية كامنة داخل الأشياء نفسها وجعل منها المحرك الأول أو السبب الأول للظواهر المختلفة.

فالأجسام تتخذ الآن بينها نوع من التآلف. و الإنسان ينمو لأنه يتمتع (بروح نامية) والحيوان يحس لأنه وهب (روحا حساسة) وآخر ما وصل إليه هذا النوع من التفكير يراه الوصول إلى قوة[1] وحيدة لتفسير الأشياء على نمط الإله الواحد. ولكن بدل من اسم للإله يطلق الفلاسفة على هذه القوة اسم الطبيعة فالطبيعة في نظرهم تفسر كل ما في الكون من الظواهر.

3/ الحالة الوضعية :

[1]- محمد احمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص ص 175،176.

تمثل هذه الحالة مرحلة النضج و الاكتمال في التفكير الإنساني فقد رأى الإنسان أن انتظام الظواهر الإنسان لا تفسره المعجزات و لا أهواء الآلهة كما أنه لم يعد يقنع بالتفسير الكلامي الذي كان يقدمه له رجال الفلسفة الميتافيزيقية

وحين أدرك العقل البشري استحالة الوصول إلى حقائق مطلقة عدل عن البحث عن أصل الأشياء وغايتها النهائية واكتفى فأن يوجد همه إلى اكتشاف التي تسير الظواهر المختلفة في ذلك بوسائل تجميع بين الملاحظة و التعقل و البحث عن قوانين معناه البحث عن علاقات الثنائية التي تنظم الظواهر في تعاقبها وفي توافقها.

لقد وضع "أوغست كونت" قانون الحالات الثلاث كتفسير للظواهر الاجتماعية بحيث أنه اعتمد على المرحلة اللاهوتية التي اعتبرها كسيطرة على المبادئ والأسس التي تسير الطبيعة الاجتماعية كما أنه أعطى استنتاج فيما يتعلق بالمرحلة الميتافيزيقية التي هي مرتبطة بالعقل الذي ينتج أساطير وخرافات وبالتالي فهو لا يؤسس المعرفة على هاذين المبدأين ولكنه يصرح بقانون علمي يعمل بمبادئ وحالات تفسر الطبيعة الاجتماعية. وتعطي المعرفة الصحيحة وهو القانون الوضعي. الذي اعتبره معطى ثابت وأولي الذي يمدنا بالتفسير اليقيني بالمعرفة العلمية القائمة على الموضوعية[1].

ب/ منهجه:

مفهوم المنهج و حدوده في العلوم الاجتماعية:

يعود الفضل"لأوغست كونت"مؤسس علم الاجتماع في اقتحام المنهج العلمي للدراسات الاجتماعية [2].

ويقف كونت على أسس الداعين إلى ضرورة دراسة المجتمع باستخدام نفس الأساليب المستخدمة في العلوم الطبيعية وهو واضع أسس المدرسة الوضعية "positivism".

[1]- محمد احمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص ص177 -178.

[2]-إبراهيم إبراش: المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، المرجع السابق، ص71.

ومن الملاحظ أن كونت تأثر بأستاذه "سان سيمون" سواء فيما نسبه لنفسه حول نظرية المراحل الثلاثة لتطور البشرية أو المعرفة الإنسانية أو بدعوته للتعامل مع الظواهر الاجتماعية بنفس الطريقة التي نتعامل فيها مع الظواهر الطبيعة ففي كتاب "سان سيمون" عن علم الأنساب يري بأن الفيسيولوجيا وعلم الإنسان جزء منها. يجب أن تدرس تبعا للمنهج الذي تسير عليه العلوم الفيزيقية الأخرى إلا أن "سان سيمون" لم يبلور لنفسه نظرية أو منهجا خاصا به في مجال الاجتماعي بل طغت عليه النظرة التاريخية.

دعى "كونت " إلى ضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية "sociale phénomène".

دراسة وضعية تحليلية منظمة لاستخلاص القوانين التي تخضع لها هذه الظواهر موضحا أن القضاء على الطريقة الميتافيزيقية في التفكير شرط ليتمكن الناس من فهم الظواهر على حقيقتها وهو صاحب مقولة إن كل ما وراء الظاهر المحسوس فهو عدم.

كان كونت بنطق من بدأ، الحصول على الحقائق الموضوعية في دراسة المجتمع لا يتم إلا إذا وضع حد للآراء الشخصية للفلاسفة ولتأملاتهم الذاتية وضرورة التزام الحياد وقد حث على ضرورة التميز بين أحكام القيمة وأحكام الواقع.

فالعلم الوضعي في نظره لا يهتم إلا بالواقع الملموس. سواء كان واقعيا طبيعيا أم اجتماعيا ومن هنا كانت دعوته إلى استخدام الملاحظة والتجربة والمقارنة والطريقة التاريخية حتى يمكن فهم المجتمع والقوانين المنظمة له، جيدنز Griddens الإسهام الذي قدمته الوضعية للمنهج العلمي العلوم الاجتماعية في مجالين[1]:

1/ إن الإجراءات البحثية في العلوم الطبيعية يمكن تطبيقها مباشرة في العلوم الاجتماعية وبالتالي فالوضعية تعني أن العالم الاجتماعي يلاحظ و يتأكد من الحقيقة الاجتماعية.

2/ إن النتائج التي يتحصل عليها العلم في العلوم الاجتماعية يمكن أن تصاغ بطريقة متساوية أو موازية لما تعامل به النتائج التي يتوصل إليها العالم في العلوم الطبيعية وهذا يعني أن أساليب التحليل

[1]-إبراهيم إبراش: المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، المرجع السابق، ص ص72،71.

التي يستخدمها العالم الاجتماعي يجب أن تصاغ على هيئة قوانين أو ما يشبه القوانين من التعميمات كتلك التي تتبع بالنسبة للظواهر الطبيعية وتضمن الوضعية من نظرة إلى العالم الاجتماعي كمحلل أو مفسر لموضوع دراسته[1].

لقد استعمل أوغست كونت سلسلة من المصطلحات العلمية والتي استفاد منها في عملية البحث عن المعرفة المتعلقة بعلم الاجتماع و التي اوجد من خلالها المعطيات اليقينية لدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية عملية.

[1]-إبراهيم إبراش: المنهج العلمي و تطبيقاته في العلوم الاجتماعية، المرجع السابق، ص 72.

الفصل الثاني: الفلسفة الوضعية وإمكانية الدراسة العلمية لعلم الاجتماع.

المبحث الأول: العوائق الإبستيمولوجية للظاهرة السوسيولوجية عند أوغست كونت.

المبحث الثاني: تجاوز العوائق الإبستيمولوجية.

المبحث الثالث: الموضوعية في الظاهرة الاجتماعية.

المبحث الأول: العوائق الإبستمولوجية للظاهرة السوسيولوجية عند أوغست كونت.

تمهيد:

إن الظاهرة الاجتماعية ليست كالظاهرة البيولوجية فهي تختلف عنها لأنها تمتاز بجملة من العوامل و الخصائص التي تجعل منها خاضعة لتجريب بينما تبقى الظاهرة الاجتماعية متماسكة لا تقبل التجزئة لأن أطرافها متصلة ببعضها البعض الأمر الذي يجعلها لا ترتقي لمفهوم التجريب بل تكتفي بالتنظير و التأصيل فقط.

العوائق الإبستمولوجية لظاهرة السوسيولوجية :

1/ إن النتائج المتوصل إليها من خلال الجماعة التجريبية والضابطة يصعب تكرارها بنفس الدقة مثلما يحدث في العلوم الطبيعية.

2/ إنه من الصعب إخضاع الإنسان إلى التجريب المختبري نظرا لأهميته.

3/ عدم توفر الأجهزة و الأدوات الدقيقة التي تمكننا من قياس أثر المتغير التجريبي بين الجماعات التجريبية والضابطة. وما هو مستعمل الآن في قياسات العلوم الاجتماعية والإنسانية يتأثر سلبا أو إيجابا باستجابات المبحوث التي قد تتغير من وقت إلى آخر في حالة تكرار التجريب.

4/ إن الاعتماد على المشاهدة والملاحظة في العلوم الاجتماعية لم يكن ناجحا دائما لأن المشاعر والعواطف والحب والكراهية والحنان والتناغم الوجداني من الصعب أن تتم رؤيته وبما أن الإنسان مكون من كل هذا وأكثر وبما أن كل هذا لا يمكن ملاحظته ومشاهدته، إذن لا يمكن الاعتماد على وسيلة المشاهدة وأحكامها في دراسة الإنسان كجوهر له محتوى أو مضمون داخلي[1].

[1]-عقيل حسين عقيل: فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مدبولي، جامعة الفتح، (د.ط)، 1999، ص126.

/5 من الصعب التحكم في أثر المتغير بنفس الدرجة على الأفراد أو الجماعات التجريبية لأن تفاعل الأفراد أو استجاباتهم مع أي عامل تجريبي قد تتأثر بالظروف الفردية وبالخلفية الثقافية أو الاجتماعية أو العاطفية للفرد والجماعة والمجتمع.

/6 أخطاء التحيز والذي يحدث نتيجة الشخصانية (الأنانية) التي يتأثر بها الباحث تجاه الموضوع أو اتجاه الأفراد أو الجماعات المدروسة، وكذلك أخطاء تحيز المبحوثين، إذا فطن المبحوثين إلى أهمية دورهم في نجاح التجربة مما يترتب عليها من نجاح للباحث الذي تربطهم به علاقة قرابة، أو لتوقعهم بأن هناك عائد خاص عليهم إذا نجحت التجربة، مما يجعل الجماعة التي تحت التجربة المتصنعة السلوك وفي هذه الحالة يكون السلوك غير طبيعي، والتجربة أيضا غير طبيعية مع إنسان طبيعي.

/7 بما أن كل ظاهرة تحتاج إلى تحليل وتفسير، ومن الصعب أن يتجرد الباحث من ذاته تماما أي من انتمائه الاجتماعي، والفكري والديني لهذا قد يتأثر الموضوع بتفاسير الباحث وحتى إن اعتمد على المشاهدة والملاحظة، والمقابلة في تجميع المعلومات فإن تفسيره لها قد لا يكون معبرا تماما عن مصداقية المبحوث خاصة إذا فطن المبحوث بأنه مشاهد أو ملاحظ أو أنه تحت الدراسة مما يجعله متصنع السلوك. والذي وللأسف، سيعتمد عليه الباحث في معلوماته وتفاسيره[1].

أي أن الظاهرة الاجتماعية يصعب تحديدها وقياسها لأنها مرتبطة بالفرد الذي يعد عنصرا هاما يتفاعل مع الجماعة فهو جزء منها يؤثر ويتأثر فيها.

كما أنه هناك صعوبات أخرى تحيل أمام التجريب في الظاهرة الاجتماعية ومن بين هذه الصعوبات مايلي:[2]

[1]-عقيل حسين عقيل: فلسفة مناهج البحث العلمي، المرجع السابق، ص ص 126،127.

[2]-محمد إبراهيم عبد المجيد: علم الاجتماع"النشأة والتطور المشكلات الاجتماعية"، مؤسسة رؤية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، (ط1)، 2007، ص48.

1- يصعب تحقيق الضبط التجريبي في المواقف الاجتماعية.

2- استحالة ضبط جميع الظروف.

3- إن طبيعة الضبط التجريبي يجعل الأفراد أثناء التجربة لا يتصرفون بصورة تلقائية أو عادية.

4- يتعذر عامة إخضاع العوامل النسبية المشكلة للظاهرة ذاتها مثل صعوبة دراسة نظام الأسرة.

5- يوجد صعوبة في تحديد المتغيرات المستقلة أو التابعة.

6- إن دراسة الظاهرة البشرية وإخضاعها للقياس الكمي يعد أمر مشكوكا في صحته[1].

صعوبة التجربة، توجد مشكلات واضحة فيما يتعلق باختيار الفروض الاجتماعية من خلال المنهج التجريبي و ذلك يعود إلى:

أ)- لو أن الأفراد يعلمون أنهم يخضعون للتجريب فربما يغيرون من سلوكهم طالما هم ملاحظون. **ب)-** لو أنهم تجاهلوا أنهم يخضعون للتجريب فهم قد تتغير سلوكياتهم وفي هذه الحالة قد تحدث مشكلات أخلاقية متعلقة بما يصلح للتجربة من عدمه[2].

اعتقد "أوجست كونت" على غرار كثير من معاصريه إنه هو الذي وكل إليه مبدأ " النظام الاجتماعي الجديد"ولكن هاهي ذي نقطة خلاف بينه وبينهم، فإن كل مصلح من هؤلاء يبدأ بعرض حله للمشكلة الاجتماعية ولا تهدف كل جهوده إلا لبيان مشروعية هذا الحل. ولما كانت هذه المشكلة أشد المشاكل إلحاحا في نظرهم كانت هي المشكلة الوحيدة التي وصفوها لأنفسهم بطريقة مباشرة لكن كونت يرى أن هذه الطريقة عقيمة، لأنهم ينتهون إلى فشل مؤكد حين يتبعونها. ذلك لأن طبيعة المشكلة الاجتماعية تقتضي أنه لا يمكن الاهتداء إلى حلها للوهلة الأولى، بل يجب أولا حل

[1]-محمد إبراهيم عبد المجيد: علم الاجتماع "النشأة والتطور المشكلات الاجتماعية"، المرجع السابق، ص48.

[2]-فيليب جونز: النظريات الاجتماعية والممارسات البحثية، تر:محمد ياسر الخواجة، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، (ط1)، 2010، ص217.

بعض المشاكل التي يغلب عليها الطابع النظري، ومن الواجب حينئذ أن يعرض الباحث لهذه [1] المشاكل أولا إذا كان يهدف إلى شيء آخر غير زيادة الأفلام السياسية والأوهام الاجتماعية وقد قال كونت: إن النظم (الاجتماعية) تتوقف على العادات والعرف كما تتوقف العادات الخلقية بدورها على المعتقدات، وإذن فسيظل كل مشروع خاص بالنظم الجديدة غير مجد طالما لم تنظم العادات الخلقية من جديد، وليس من الممكن الوصول إلى هذه الغاية طالما لم تتهيأ الظروف لإنشاء مذهب عام من الآراء التي تتخيلها جميع العقول على أنها آراء صادقة، كما كانت تلك هي حال العقيدة الكاثوليكية في أوروبا في أثناء القرون الوسطى[2].

[1]-محمد إبراهيم عبد المجيد: علم الاجتماع "النشأة والتطور المشكلات الاجتماعية"، المرجع نفسه، ص ص48،49.

[2]-محمد إبراهيم عبد المجيد:علم الاجتماع"النشأة والتطور المشكلات الاجتماعية"، المرجع السابق، ص49.

المبحث الثاني: تجاوز العوائق الإبستمولوجية

الاعتبارات المنهجية الخاصة بالمنهج الوضعي:

تمهيد:رغم الصعوبات التي اعترضت طريق الظواهر الاجتماعية إلا أن بعض النظريات حاولت تخطي هذه العوائق الإبستمولوجية التي حالت وراء اكتشاف المعارف المتعلقة بالفرد الذي يعتبر عنصر مهم من المجتمع ومن بين هذه النظريات النظرية الوضعية التي يمثلها أوغست كونت الذي درس المجتمع دراسة علمية معتمدا في ذلك على المنهج الوضعي الذي يفسر الظواهر تفسيرا علميا يسهل الوصول إلى المعرفة السوسيولوجية من خلال ما يلي:

أ/ يرى كونت أن المجتمع يشبه الكائن الحي في خاصية واحدة، وهي أن فهم الكل يمكن التوصل إليه بطريقة أفضل من الأجزاء، وبمعنى آخر فإن كونت يرى أن المنهج في علم الاجتماع يتبع منهج دراسة علم الحياة، والذي يبدأ الدراسة إلى الكل لكي ينتهي إلى الأجزاء، وذلك هو الانتقال من المركب إلى البسيط وعلم الاجتماع يتبع هذا المنهج، وذلك لأن العناصر الفردية في المجتمع تظهر أكثر انفصالا من أجزاء الجسم الحي، إلا أن التضامن بين الأجزاء الاجتماعية يكون أشد قوة من تضامن الأجزاء الحيوية، وإذن سينحصر المنهج الاجتماعي في النظر دائما، وفي آن واحد إلى المظاهر المختلفة للحياة الاجتماعية، سواء كان ذلك في حالة الاستقرار أو في حالة التطور ويرى كونت أن كل من هاتين الحالتين يمكن أن يكون بلا شك موضوعا لدراسة خاصة على اعتبار أنها دراسة"إعداد وتمهيد" ولكن بمجرد أن يصبح العلم أكثر تقدما فإن ارتباط الظواهر يكون خير مرشد في تحليلها وينتقد كونت المنهج المستخدم في الدراسات الاقتصادية في عصره وذلك فنظرة الاقتصاديين إلى الظواهر نظرة منفصلة ومنعزلة ويشبههم كونت بأنهم "يرغبون في محاكاة طريقة التجزئة المنهجية الخاصة بالعلوم[1]

غير العضوية وتطبيقها في مجال الدراسات الاجتماعية وهم بذلك يجهلون بلا شك الشروط الأساسية التي يتطلبها موضوع بحثهم في هذا المجال تتحكم معرفة القوانين الأكثر عموما قبل غيرها

[1]-محمد أحمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص ص179،180.

وبعد ذلك يهبط العلم من هذه القوانين إلى القوانين الأشد خصوصا.

ب/ إن معرفة المنهج بالدقة لا تكتسب إلا عن طريق الخبرة العملية فمن الواجب إذا أن يكون عالم الاجتماع نفسه عن طريق تربية علمية كاملة فيبدأ بالرياضة التي تشعره بالفكرة الوضعية حتى ينتهي إلى علم الحياة الذي يعلمه منهج المقارنة، ويرسم لنا كونت في دروس الفلسفة الوضعية هذا الصعود المنهجي الذي قاد العقل البشري بدرجات متتابعة حتى انتهت به إلى العلم الاجتماعي، وبما أن التطور العقلي للفرد نسخة مكررة من تطور النوع بأكمله وجب على عالم الاجتماع أن يقطع نفس المراحل ليصل إلى نفس الهدف، وإذا كانت الثقافة الرياضية ضرورية لعلم الاجتماع إلا أنها تعود على طريقة التفكير الوضعي، فإن كونت يعترف مع ذلك بأن الظواهر الاجتماعية لا تتضمن استخدام الأعداد ولا المعادلات الرياضية، بل لا تستخدم حساب الاحتمالات بصفة خاصة، ولقد أشار كونت إلى أن هناك محاولات عابثة وغير مجدية قام بها عدد من الرياضيين لدراسة المجتمع دراسة وضعية بواسطة تطبيق نظرية الاحتمال ويشير هنا كونت إلى أعمال كل من"بلاس"، كذلك"أدولف كاتيليه"،"فكونت" يرى أن تطبيق نظرية الاحتمالات على الحوادث التاريخية معناه إغفال أن هذه الظواهر تخضع لقوانين ثابتة كالظواهر الأخرى.

ج/ إن عالم الاجتماع الذي يبنى المنهج الوضعي يرفض أن يفسر الظواهر الاجتماعية بقوى خارجة أو بكائنات خفية، كما كان الحال في المرحلة الميتافيزيقية ولهذا ،وطالما أن الظواهر خضعت للمنهج الوضعي فإن فكرة القانون تحل محل هذه القوى التحكمية وأصبح الوصول إلى القانون العلمي هو المطلب الأساس الذي تدور عليه الدراسة والبحث الاجتماعي[1].

د/ في إطار المنهج الوضعي لا يمكن اعتبار التخيل منهجا، على العكس فإن الفكر الوضعي يخضع هذا النوع من التخيل للملاحظة والدراسة فالفلسفة الوضعية إذن تضيق من دائرة الخيال ومقدرته على تنسيق الظواهر التي يلاحظها الإنسان لتعديل تكاملها أو الرجوع إليه في سبيل الكشف عن مسائل

[1]-محمد أحمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص ص179،180.

جديدة في البحث والدراسة.

ه/ يهتم المنهج الوضعي بتحديد العلاقات بين مختلف الظواهر وبيان الارتباط الحقيقي بينها، ولا شك أن المناهج القديمة لا تعطي صورة حقيقية وواضحة عن هذا، وعالم الاجتماع يفطن جيدا إلى أهمية دراسة العلاقات التي توجد بين مختلف الظواهر وما عداها من الظواهر الأخرى، حتى تكون نتائج بحوثه أدنى إلى الصحة والصدق العلمي.

و/ إذا كانت المناهج القديمة مطلقة وكلية، فإن المنهج الوضعي يهتم بتحديد دائرة المعاني المطلقة ويحاول أن يجعلها معاني نسبية.

ويرى كونت أن العلوم استفادت من هذا التطور، فبعد أن كانت تصوراتها ومصطلحاتها جامدة لأنها وصلت إلى دور الإطلاق في المناهج الميتافيزيقية، أصبحت في المرحلة الوضعية قابلة للحركة والتطور والتغير معا تبعا لتطور الإنسانية، وتقدم العلوم والمناهج ووسائل الكشف العلمي، وبهذا تكتسب مصطلحات ومفهومات العلم مرونة بحسب استجاباتها لمتغيرات الحياة الاجتماعية[1].

ركائز النظرية السوسيولوجية عند كونت:

لقد أقام أوغست كونت علمه على مجموعة من المبادئ والأساليب التي من شأنها أن تجعل الظواهر الاجتماعية ظواهر قابلة لتجريب تمتاز بالعلمية.

أولا: يعتبر كونت قانون الحالات أو المراحل الثلاث المشار إليه قبلا الركيزة الأولى للنظرية السوسيولوجية عنده، أما الركيزة الثانية فتتمثل في النظام المتسلسل للعلوم الذي وضعه كونت في نسق[2] مترابط قاعدته الرياضيات ويشكل علم الاجتماع قمته المتطورة والذي اعتبره كونت أكثر العلوم تعقيدا، وذلك الشيء طبيعي في رأي كونت لأن كل علم داخل ذلك النسق التسلسلي الذي

[1]-محمد أحمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص181،182.

[2]-صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع في عالم متغير، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، مصر، (ط1)، 1996، ص 159.

تصوره للعلوم ، يمهد بالضرورة للعلم الذي يليه في السلسلة والذي لابد أن يكون أكثر تعقد منه، فالرياضة تأتي أولا وعند قاعدة النسق، وبعدها الميكانيكا ثم الفيزياء فالكيمياء فالبيولوجيا حتى يحتل قمة ذلك النسق علم وليد في رأي كونت هو الفيزياء الاجتماعية أو علم الاجتماع.

بين علم الاجتماع وبين الفلسفة السياسية وإصراره على أن comte**ثانيا:** يميز كونت الاستقصاءات السوسيولوجية لابد أن تعتمد على المناهج الوضعية أو الموضوعية في الملاحظة وعلى التجريب والمقارنة المميزة للعلوم الطبيعية وكذلك على المنهج التاريخي.

ثالثا: وضع كونت أول تعريف لعلم الاجتماع وقال: إنه الدراسة الواقعية المنظمة للظواهر الاجتماعية، كما قدم كونت تصورا ممتازا للثقافة باعتبارها المحصلة الكلية لإنجازات العقول الإنسانية المتفاعلة.

رابعا: قسم كونت موضوعات علم الاجتماع إلى قسمين رئيسيين: أولهما ما يعرف بعلم social" وثانيها ما يعرف بعلم الاجتماع الديناميكي"socialstatiqueالاجتماع الاستاتيكي" " كما حدد اهتمام الإستاتيكا بدراسة شروط وجود المجتمع أو بما يعرف الآن بالبناء dynamique الاجتماعي، بينما تهتم الديناميكا بدراسة الحركة المستمرة للمجتمع أو مايعرف الآن بدراسة التغير الاجتماعي!.

:"إن النظام هو الحقيقة في الإستاتيكا كما أن التقدم هو الحقيقة timachiffويقول نيقولا تيماشيف الكبرى في الديناميكا عند كونت وبتعبير آخر فإن الإستاتيكا هي نظرية النظام، الذي يشير إلى الانسجام، والتوازن بين مختلف ظروف وجود الإنسان في المجتمع، بينما تعد الديناميكا نظرية في التقدم الاجتماعي تهتم بدراسة النمو الأساسي في المجتمع وتطوره"[1].

خامسا: أكد كونت من خلال قناعته بأن المناهج يجب ألا تنفصل عن الظواهر التي تستخدم في بحثها، أكد أنه يجب على علم الاجتماع أن يأخذ بالمنهج الوضعي. صحيح أن كونت لم يشرح

[1]-صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع السابق، ص ص159،160.

منهجه الوضعي بشكل دقيق وكاف إلا أنه أكد أن منهجه الوضعي يتطلب تباعية المفهومات للواقع

من جهة، وقبول الفكرة التي تقول أن الظواهر الاجتماعية إن هي إلا موضوع للقوانين العامة من جهة أخرى إلا أنه أكد على أن الوصول إلى الحقائق أو كشفها في مجال الظواهر الاجتماعية يعتمد على نوعين من الوسائل، أحدهما مباشر والآخر غير مباشر و لم يهتم كونت بالوسائل غير المباشرة وركز على النوع المباشر منها، ويرى أنه أي المباشر يتمثل في الملاحظة والتجربة والمنهج المقارن وأخيرا المنهج التاريخي وكان كونت واعيا تماما لمفردات منهج البحث الاجتماعي لديه فالملاحظة عنده ليست مجرد الإدراك الحس المباشر للظواهر، وإنما يمكن الاستعانة أو الاستعاضة عنها بوسائل أخرى قد تكون أجدى في الملاحظة الاجتماعية ومن أمثلة تلك الوسائل الأخرى دراسة العادات والتقاليد وتحليل ومقارنة اللغات والإطلاع على السجلات والوثائق التاريخية، فضلا عن دراسة النظم المختلفة... مع التأكيد على أن ملاحظة الظواهر الاجتماعية أمر ليس سهلا... أو هي الملاحظة في الحقيقة أمر معقد وذلك يرجع للتعقد البالغ الذي تتسم به الظواهر الاجتماعية ذاتها ... فضلا ولعها بالتغير ودوام التفاعل كما حذر كونت من وقوع الباحث في خطأ التأويل ومن ثم يقع في خطأ الاستنتاج... لذلك يحذر كونت بوضوح من الاعتماد على الملاحظة كأسلوب وحيد في دراسة الظواهر الاجتماعية

وهذا، تعد التجربة الأداة الثانية في منهجية كونت... الذي حرص أن يطلق عليها مصطلح

"التجربة الاجتماعية"، تمييزا لها عن التجربة في العلوم الطبيعية، وتنهض التجربة عند كونت على مقارنة ظاهرتين تتشابهان في كل شيء إلا في حالة واحدة... ويطلق عليها التجربة المباشرة ... حيث يمكن عن طريقها استنتاج أثر العامل سبب الاختلاف في الظاهرتين محل الدراسة... إلا أن كونت[1] عاد وحذر من ردود تلك التجارب لأنها تبقى في معظم الأحوال قاصرة عن الاستنتاج

[1]-صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع السابق، ص ص159،160.

مالم يكن الباحث نفسه واعيا مطلعا على مختلف الحالات التي توجد فيها الظواهر الاجتماعية محل التجربة.

أما الأداة الثالثة في منهج كونت فهي المقارنة الاجتماعية... أو المنهج المقارن... فهو التجربة على وجود الاتفاق والاختلاف... أو التشابه بينهما...وخصوصا في ظل التطور السريع لبعض الظواهر المجتمعية في مجتمع دون الآخر، كما قد تكون المقارنة في مجال مكاني أصغر كأن تكون بين طبقتين أو هيئتين في نطاق أمة واحدة أو شعب واحد.

كما اعتبر كونت...المنهج التاريخي هو المنهج السامي كما يسميه آخر أساس من أسس منهجه الوضعي باعتبار المنهج التاريخي هو المنهج الوحيد القادر على الكشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للبشرية[1].

النزعة العضوية عند أوغست كونت:

ينظر عادة إلى أوغست كونت باعتبار مؤسس علم الاجتماع في القرن التاسع عشر إذ في الوقت كانت الرؤية الفلسفية من الإنسان والمجتمع تشغل اهتمامات الرجل العادي والمدرسين بالمثل، ظهر أوغست كونت وقدم لنا علم المجتمع وصاغ لنا مصطلح علم الاجتماع، ورغم أن كتابات أوغست كونت صارت مهملة ومنسية ومقصورة في علم النكران ورغم أن كونت عاش أيامه الأخيرة في حالة من الإحباط واليأس والمرارة فإن ما أبدعه فكره من علم اجتماعي أثر تأثيرا عميقا في الفكر الاجتماعي من بعده والحقيقة أن قلة هي التي تعترف بتأثيره وأهميته في يومنا هذا وإليه يرجع الفضل

في ظهور النزعة الوظيفية، تلك النزعة التي تبناها الكثيرون منذ منتصف القرن التاسع عشر والتي لازالت تسيطر على إنجازات علماء الاجتماع، فهم إما مؤيدون لها أو معارضون أو معدلون في بناء النظرية الوظيفية[2].

[1]-صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع نفسه، ص ص160،161.

[2]-جوناثان تيرنز: بناء نظرية علم الاجتماع، تر: محمد سعيد فرح، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، (ط2)، 2000، ص ص33،34.

من أجل فهم كيف ولماذا يصبح المجتمع ممكنا طرح"أوغست كونت"باعتباره مؤسس علم الاجتماع، طريقة جديدة للتحليل يمكن أن نطلق عليها التفسير العضوي للمجتمع، ورأى كونت المجتمع باعتباره نمطا يشبه الكائن الحي، ويدرس من خلال بريق مفهومات علم الأحياء عن البناء والوظيفة ورغم الفروق المعروفة بين الكائنات الحية والكائنات الاجتماعية إلا أن قبول الاكتشافات التي أنجزت في مجال علم الأحياء والنظريات الهامة التي أبدعها علماء علم الأحياء في القرن التاسع عشر قبولا حماسيا أدى بالمفكرين إلى التقليل من تلك الفروق.

ومثل كل علماء الاجتماع في فرنسا خلال القرن الماضي كان كونت مشغولا بانتشار النظام والتجانس بعد مرحلة الفوضى التي أوجدتها الثورة الفرنسية، ولقد هاجم كونت النزعة الفردية التي نادى بها المذهب النفعي السائد في انجلترا، واعتنق عن إيمان فكر "روسو"و"سان سيمون" ومطالبتهما بظهور وتطور الفلسفة الجمعية، التي تنادي بظهور مبادئ تكوين الاتفاق الجمعي، إلا أن كونت عندما تبنى هذا الفكر وضح أهمية تطبيق مبادئ العلم عند دراسة المجتمع ولقد شعر أوغست كونت أن التطور الإنساني في القرن19م، بلغ مرحلة الوضعية، وتستخدم في هذه المرحلة المعرفية التجريبية عن العالم الاجتماعي من أجل فهم هذا العالم وبناء مجتمع أفضل، وهكذا أصبح كونت أول مؤيد لتطبيق المنهج العلمي عند دراسة المجتمع ولازالت هذه الإستراتيجية في الدراسة، احتراما لرغبة كونت يطلق عليها النزعة الوضعية في العلوم الاجتماعية.

وتمثل لنا حياة كونت العقلية محاولة لإضفاء الشرعية على علم الاجتماع وقد ذهبت محاولته في ذلك لوضع تصنيف للعلوم، تنظم فيها العلوم في نسق متدرج ويتوج علم الاجتماع ذلك العلم الجديد... كما يرى أنه ثمة صلة بين علم الاجتماع وعلم الأحياء تكمن في الاهتمام المشترك بالكائنات العضوية، وقد أدى به هذا الفهم لهذه الصلة بين العلمين إلى تقسيم علم الاجتماع إلى فرعين أساسيين.[1]

[1]-جوناثان تيرنز: بناء نظرية علم الاجتماع، المصدر السابق، ص ص33،34.

الإستاتيكا الاجتماعية أو المورفولوجيا الاجتماعية، والديناميكا الاجتماعية، أي التقدم الاجتماعي، والحقيقة أن كونت كان مقتنعا أن علم الأحياء كان المرشد أو الوجه والممهد لعلم الاجتماع. إلا أن علم الاجتماع سيقدم في المستقبل المبادئ والمناهج الأساسية التي تفيد الدراسة في علم الأحياء. ولذا يتعين على علم الاجتماع أن يعرف مظاهر التماثل والتشابه بين الكائن الفردي محور اهتمام علم الأحياء والكائن الاجتماعي محور اهتمام علم الاجتماع تبعا للنتائج التي توصل إليها علم الأحياء، يمكن أن نعرف أن البناء يتكون من الخلايا (العناصر) وأنسجة وأعضاء ومثل هذه الأشياء نجدها تكون الكائن الاجتماعي، ويمكن أن نسميها بالمسميات نفسها، ولقد قدم لنا أوغست كونت مماثلة واضحة بين أنواع خاصة من الأبنية الاجتماعية ومفهومات علم الأحياء يقول كونت "أننا سندرس الكائن الاجتماعي باعتباره يتكون من الأسر وهي العناصر الحقيقية أو الخلايا ثم ندرس المدن والمجتمعات المحلية وهي الأعضاء الحقيقية".

وهكذا ظهر علم الاجتماع كعلم على يد أوغست كونت ليؤكد على حقيقتين:

الحقيقة الأولى: الاهتمام الوضعي باستخدام المنهج العلمي لجمع الحقائق التجريبية عن العالم الذي نعيش فيه.

الحقيقة الثانية: الاهتمام بالمماثلة بين الكائن الفردي والمجتمع، ووفق منهج كونت لا ينظر إلى هذه الأفكار باعتبارها متنافرة، بل إن المفكرين والعلماء اللاحقين بعد كونت لم يروا في فكر كونت أي تناقض أو رؤية مطلقة، وذلك من وقت متأخر جدا[1].

النظرية الوظيفية التقليدية:

سبق معنا القول بأن وضعية أوغست كونت أو علم الاجتماع عنده انبثق من خلال التناقضات التي كانت تسود بين مجموعة من المذاهب الفكرية، والتي بدورها كانت انعكاسا[2]

[1]-جوناثان تيرنز: بناء نظرية علم الاجتماع، المصدر السابق، ص ص35،36.

[2]-علي غربي: علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية المحدثة، مخبر علم الاجتماع والاتصال للبحث والترجمة، جامعة منتوري، قسنطينة، (د،ط)، 2007، ص63.

لتناقضات على المستوى الاجتماعي بين الطبقات والفئات الاجتماعية وهذه التناقضات الفكرية البنائية أذاكتها، كما نعلم الثورتين الفرنسية والصناعية على وجه الخصوص.

consensusلقد جاءت وضعية كونت "كمحاولة من أجل تحقيق الاتساق العام"

" في المجتمع وبالتالي الأمل في القضاء على كل مظاهر الصراع أو التناقض التي تهدد universal المجتمع بالانهيار والتفكك[1].

النظرية البنائية الوظيفية:

لقد كان رواد علم الاجتماع في القرن 19م مثل أوغست كونت وهربرت سبنسر متأثرين بأوجه التشابه التي لاحظوها بين الكائنات البيولوجية الحية وبين الحياة الاجتماعية، وقد اتجه " أي organic malogyهربرت سبنسر بصفة خاصة إلى الإعلان المعروف بمبدأ المماثلة العضوية" إلى تشبيه المجتمع بالكائن الحي.

والواقع أن هذه المماثلة العضوية بالإضافة إلى كثير من مسلمات الفلسفة الرومانسية أو رد الفعل الرومانسي المحافظ لفلسفة التنوير، تشكل الأساس الفكري والفلسفي للاتجاه البناء الوظيفي، "بوصفه مركبا من العناصر أو المكونات التي systemومما يرتبط بذلك ارتباطا مركزيا فكرة النسق" ترتبط بعضها بالبعض الآخر بشكل مستقر ومستمر عبر الزمان.

لقد فهم الجسم الإنساني بوصفه "نسقا" يتكون من عدد من الأعضاء المترابطة المتفاعلة "القلب والمخ والأطراف"، وغير ذلك وكل عضو من هذه الأعضاء يؤدي وظيفة أو وظائف أساسية من أجل بقاء الكائن أو بقاء النوع الذي ينتمي إليه هذا الكائن الحي، إن الأعضاء تمثل إذن بنيات أو تركيبات تواجه بواسطتها متطلبات الكائن الحي ومتطلبات البقاء مثلا هو بناء يؤدي وظائف متعددة تواجه متطلبات استمرار الكائن في الوجود وغير ذلك من الأعضاء يقوم بوظائف معينة لكنها جميعا تتساند وتتكامل وتتفاعل من أجل استمرار بقاء الكائن ككل ومن ثم فإن أي خلل[2]

[1]-علي غربي: علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية المحدثة،المرجع السابق، ص63.

[2]-محمود عودة: أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.س)، ص90.

يصيب بناء منها سوف يؤثر بالتالي على الأبنية الأخرى فإن أصيب القلب مثلا يخلل في وظائفه أو تركيبه فإن وظائفه الأخرى سوف تتأثر بالضرورة وهكذا.

لقد فهم علماء الاجتماع الوظيفيون النظم الاجتماعية بوصفها مماثلة للكائنات على أساس أن تلك البنيات الاجتماعية تشبع وتحقق المتطلبات الضرورية اللازمة لبقاء المجتمع واستمراره، ويصنف هؤلاء العلماء النظم الاجتماعية في ضوء الوظائف الرئيسية التي تؤديها فالنظم الاقتصادية تؤدي وظائف الإنتاج والتوزيع، والأسرة تؤدي وظائف الإنتاج البشري والتوالد والتنشئة الاجتماعية ووراثة الوضع الاجتماعي، أما النظام السياسي فيقوم بحماية المواطنين من الاعتداءات[1].

العناصر الأساسية للنظام:

إن الفكرة المحورية التي تستند إليها الوضعية، كما عرفنا هي النظام، بمعنى محاولة الوصول إلى تنظيم المجتمع وهي تؤمن أن أزمة النظام لا تتمثل في حالة الفوضى والاستغلال الواقعي للنظام الصناعي كما يراها "سان سيمون" أو حتى"ماركس"، وإنما هي تبعا"لكونت"أزمة على مستوى العقلي وحتى يمكن إعادة التنظيم الاجتماعي يجب إعادة التنظيم العقلي أولا، وعليه تخطي الأزمة يتم تجاوز مرحلة الصراع القائم بين المذهبين اللاهوتي والميتافيزيقي إلى المرحلة الوضعية التي تعتبر الأكثر تكاملا فهي التي تمثل مرحلة النضج والاكتمال في التفكير الإنساني، فحين أدرك العقل البشري استحالة

الوصول إلى حقائق مطلقة عدل عن البحث عن أصل الأشياء وعن غايتها واكتفى بأن يوجه اهتمامه إلى اكتشاف قوانين التي تسير عليها الظواهر المختلفة مستعينا في ذلك بوسائل تجمع بين الملاحظة والتعقل أي أنه بدأ يسلم بالمعرفة التجريبية النافعة عمليا.

إذن فالتطور العقلي هو محور الذي تنظم حوله الظواهر الاجتماعية الأخرى وتتضامن فيها بينها لتحقيق التقدم، ومن ثم تقدم الإنسانية ويرى أن من أهم عوامل التطور العقلي هي تلك المسائل الميتافيزيقية كالملل والسأم والخوف من الموت ولتحقيق النظام في المجتمع يرى كونت أنه يجب على[2]

[1]-محمود عودة: أسس علم الاجتماع، المرجع السابق، ص ص90،91.

[2]-علي غربي: علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية المحدثة، المرجع السابق، ص41.

الوحدة الفكرية.

إن الأفكار هي المسؤول الأول في تحديد مصير المجتمع فهي التي تحكم العالم وتحميه أو أنها تلقى به إلى الفوضى، ولذلك ترى الوضعية ضرورة خلق وحدة فكرية.

أما عن مراحل التقدم فيرى بأن الفكر البشري قد مر بثلاث مراحل فكرية ومن ثم مراحل متماشية معها من حياة الإنسان المادية ونوعية الوحدات الاجتماعية والنظام السائد لكل مرحلة من تلك المراحل وهذه المراحل هي: [1]

المراحل الفكرية	اللاهوتية	الميتافيزيقية	الوضعية
المادية	العسكرية	التشريعية	الصناعية
نوعية الوحدة	العائلة	الدولة الإنسانية	السلالة
نوعية النظام	donusticعائلي	collectiveجمعي	universelعالمي

*الشكل رقم(1)

[1]-علي غربي: علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية المحدثة، المرجع السابق، ص42.

*-نقلا عن علي غربي: علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية المحدثة، المرجع نفسه، ص 43.

المبحث الثالث:الموضوعية في الظاهرة الاجتماعية

وجهت النظر الموضوعية والذاتية عند أوغست كونت

تمهيد:

عندما قام أوغست كونت بدراسة المجتمع أقر جملة من المبادئ والأطر والقوانين التي توضح المعرفة العلمية وتبنيها وفق منظور موضوعي ونسبي ومن هذا الأساس صاغ نظريته وكانت كالآتي:

هل المنهج العام للفلسفة الوضعية موضوعي أم ذاتي؟ أم موضوعي وذاتي في آن واحد؟

لقد أثارت هذه المسألة كما نعلم مناقشات عنيفة بين أنصار المذهب الوضعي، وقد حل بعض المؤرخين، الذين لا ينتمون إلى مدرسة كونت، هذه المسألة كما لو كان "كونت"قد ارتضى في آخر حياته نظرية مختلفة جدا في تلك التي عرضها في كتاب دروس الفلسفة الوضعية، ومع ذلك يكفي أن نفرق معه بين وجهتين متتابعتين عن النظر، لكي نلمح كيف يمكن التوفيق جيدا بين الطريقتين بمعنى خاص، وإن كانت متضادتين بمعنى آخر.

حقا توجد وجها لوجه طريقتان متضادتان إذا لم نعتبر سوى الطريق التي تبعها ذكاؤنا في تفسير الظواهر الطبيعية موضوع الفلسفة الوضعية بالمعنى الضيق الذي يدل عليه هذا اللفظ، فالطريقة الذاتية تنتقل من ملاحظة الإنسان وتقضي الطريقة الأولى إلى نشأة الفلسفة اللاهوتية والميتافيزيقية وتؤدي الثانية إلى نشأة الفلسفة الوضعية، وينشأ التضاد بين هاتين الفلسفتين بسبب التضاد بين هاتين الطريقتين وليس من الممكن رفع هذا التضاد وهو يتيح لنا القول:" بأن هذا الضد سيقتل ذاك" وبهذا المعنى يتضمن التقرير النهائي للطريقة الموضوعية الذي ينتهي بإنشاء علم الاجتماع، استبعاد الطريقة الذاتية استبعادا نهائيا أيضا لكن كتب "كونت" في سنة 1938 في المجلد الثالث من كتاب "دروس الفلسفة الوضعية"أي بزمن طويل قبل العصر الذي سماه بعضهم خطأ عصر فلسفته الثانية[1].

[1]-ليفي بريل: فلسفة أوغست كونت، تر:محمود قاسم والسيد محمد بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر(ط2)، 1952،ص ص 130،129.

تقول كتب "كونت" متى وصلت الفلسفة الصحيحة إلى مرحلة نضجها التام وجب عليها أن تتجه على نحو لا مفر منه، إلى التوفيق بين هاتين الطريقتين المتضادتين، وسيتم هذا التوفيق عن طريق التفرقة بين وجهة النظر الخاصة بالعلوم وبين وجهة النظر الفلسفة العامة، ولا يمكن أن يتم البحث العلمي عن قوانين الظواهر الطبيعية إلا بالطريقة الموضوعية، ولا يغير "كونت" رأيه في هذه المسألة غير أن هذه العلوم ليست أجزاء في مجموعة كلية أكثر منها اتساعا، ولا تتناسب معها سوى الطريقة الذاتية وهناك حجتان تبرهنان على هذا الأمر بصفة، وإحداهما ذات طابع منطقي، والأخرى ذات طابع خلقي وديني.

[أولا]: إن الوحدة أسمى مطلب لعقلنا، فهل نستطيع إدراك هذه الوحدة يوما ما باستخدام الطريقة الموضوعية في العلوم؟ ليس الأمر كذلك بداهة لأننا لا نستطيع إرجاع القوانين التي نعرفها إلى قانون وحيد أشد عموما، ولو كان ذلك في كل طائفة من الظواهر على حدة، وما قيمة القوانين المعروفة بالنسبة إلى القوانين التي تخفى علينا، والتي ربما خفيت علينا دائما؟ ويمكن القول على نحوها بأننا إذا نظرنا إلى موضوع كل علم من علومنا وجدناه يمتد إلى مالا نهاية له أي إلى ما وراء أفقنا المحدود. فإذا وجب إذن أن توجد فكرة وحيدة عن العالم تشبع حاجتنا العقلية فلن نصل إلى هذه الفكرة مطلقا من وجهة النظر الموضوعية لكن إذا اتخذنا وجهة نظر أخرى، وأرجعنا مجموعة العلوم كلها إلى الإنسان. أو بالأحرى الإنسانية باعتبار أنها محور لهذه العلوم، استطعنا تحقيق الوحدة المنشودة في هذه الحالة، وهذا ما يصبح ممكنا، على وجه الدقة، بسبب علم الاجتماع أي عندما نجعل تدرج العلوم الوضعية متوقفا على العلم الأخير الخاص بالإنسانية.

فمعنى التوفيق بين الطريقتين في نظر "كونت" هو أن نعد العلوم الأساسية الأخرى "مقدمات ضرورية" وأن نتصور التطور الذي أدى إلى ظهور هذه العلوم واحد بعد الآخر. كما لو كان تاريخا للتقدم الإنساني نفسه، وأن نتحقق من صدق قانون الحالات الثلاث بتطبيقه على جميع معتقداتنا.[1]

[1]-ليفي بريل: فلسفة أوغست كونت، المصدر السابق، ص ص130،131.

وعلى جميع معلوماتنا وأن نخضع في نهاية الأمر كل البحوث العلمية لوجهة نظر علم الاجتماع فالفارق بين هذا الاستخدام الجديد للطريقة الذاتية وبين استخدامها بطريقة تلقائية في الفلسفة اللاهوتية هو كل التقدم الذي حققه العلم الوضعي، إبتداءا من الرياضة حتى علم الاجتماع، فعندما كانت الفلسفة اللاهوتية ترى أن معرفة الإنسان متضامنة مع معرفة العالم، كانت تحركها في الواقع غريزة صادقة، لكنها كانت تعتمد على الخيال بدلا من الملاحظة، وكانت تتصور العالم مليئا (بالأسباب) المثيلة بإرادة الإنسان، والتي تتقلب مثلها مع الهوى، وعلى عكس ذلك تعتمد الطريقة الذاتية الجديدة على نفس النتائج التي أدت إليها العلوم الوضعية بعد أن ألف علم الاجتماع بينها، فهي تسلم بأن الظواهر العقلية والخلقية تتوقف على قوانين علم الحياة، وأن هذه القوانين نفسها تترتب على قوانين البيئة غير العضوية غير أن هذه القوانين نفسها تترتب على قوانين البيئة غير العضوية غير أنه لما وجب أن يظل "التنظيم النهائي لكل هذه القوانين مستحيلا من وجهة النظر الموضوعية فإن الطريقة الذاتية الجديدة تحول هذا التنظيم باتخاذ الإنسانية مركزا لجميع الظواهر".

وعلى هذا النحو، تكمن التفرقة في التطور العقلي للإنسانية بين مرحلتين كبيرتين ففي الأولى يطبق التفكير الوضعي المنهج العلمي، أي الموضوعي على أنواع الظواهر التي تزداد سموا واحد بعد آخر، ويحدد إنشاء علم الاجتماع نهاية هذه المرحلة وعندئذ تبدأ المرحلة الثانية، فيصبح التفكير الوضعي عاما بعد أن كان خاصا وتركيبيا بعد أن كان تحليليا، ويقوم برد فعل على العلوم الخاصة، ويستخدم من الآن فصاعدا المنهج الذاتي "وقد دبت فيه حياة جديدة " لكي يسيطر على مجموعة العلوم.

[ثانيا]: أما من وجهة النظر الخلقية والدينية فمتى أنشئ علم الاجتماع وقررت الفلسفة الوضعية، ظهرت الوظائف الخاصة بالدين فالذكاء الإنساني يعترف بأنه لايحتوي في ذاته على الغاية التي يهدف إليها وبأنه غير قادر على أن يضع لنفسه قاعدة وهدفا، وهو يخضع لسلطة موجهة تقود مجهوداته[1]

[1]-ليفي بريل: فلسفة اوجست كونت، المصدر السابق، ص ص131،132.

وتحدد موضوعه، وهي "العمل بناءا على العاطفة والتفكير من أجل العمل"لكن أدرك العقل أن رسالته هي العمل لخدمة الإنسان وأدرك في الوقت نفسه أن الطريقة الموضوعية تفسح مكانها للطريقة الذاتية في النظرية الوضعية الكاملة التي تنطوي على الدين، أو أدرك بالأحرى أن كلتا الطريقتين تتبادل العون فيما بينهما ولو كانت عقولنا محضة لا تنقلنا، دون ريب من العالم إلى الإنسان دائما غير أن الذكاء ليس لدينا إلا وسيلة، والحب هو المبدأ والنشاط هو الهدف والإنسان هو في النهاية، المركز الذي يجب أن ترجع إليه دراستنا للعالم.

وقد بين "كونت" في الفترة الأخيرة من حياته، التضاد بين منطق العقل الذي تقوده العلامة المصطنعة على وجه الخصوص، وبين منطق القلب "الذي يقوم على أساس الصلة المباشرة بين الانفعالات، ولن نلح هنا في بيان هذه الفكرة التي ترتبط ارتباط وثيقا بمذهبه في الدين، وسنكتفي في نهاية الأمر، بأن نقول إنه ليس بعسير أن نوفق في تفكير كونت من وجهة النظر الفلسفية بين الطريقتين الموضوعية والذاتية، ولكن بشرط أن تدب الحياة من جديد بطريقة منظمة في كلتهما، وقد دبت الحياة فيهما فعلا بمجرد أن أنشئ علم الاجتماع[1].

[1]- ليفي بريل: فلسفة أوغست كونت، المصدر السابق، ص ص 132،133.

الفصل الثالث: نظرية المعرفة وتطورها عند أوغست كونت.

المبحث الأول: نظرية المعرفة وإشكالية المنهج.

المبحث الثاني: نشأة العلم ومراحله.

المبحث الثالث: القوانين الاجتماعية.

المبحث الأول: نظرية المعرفة وإشكالية المنهج

أولا: نظرية المعرفة

نبدأ دراستنا لأمهات المسائل الفلسفية التي تدخل ضمن دائرة مدخل عام للفلسفة بنظرية المعرفة لأننا يجب أن نعرف أولا كيف وما قيمة ما نعرف؟ وإلى أي مدى يتسع نطاق معرفتنا؟.

والكلمة الدالة على نظرية المعرفة واحدة لا اشتراك فيها، وذلك في اللغتين: الإنجليزية والألمانية، إذ يطلق عليها في الإنجليزية théory of knowledge، وفي الألمانية هيerkentnissthorie، أما في الفرنسية فهناك -أو كان إلى عهد قريب- تفرقة بين ما يطلق عليه théorie de la connaissance

وما يطلق عليه épistémologie.

فكلمةépistémologie كانت تدل ولا تزال عند بعض الكتاب -على فلسفة العلوم- ولكن بمعنى أكثر تحديدا: "فهي ليست دراسة المناهج العلمية، التي هي موضوع علم مناهج البحث méthodologie، ويؤلف قسما من المنطق وليست أيضا تأليفا synthèse، أو اقتباسا اقتراحيا conjecturale، للقوانين والقروض والنتائج التي بمختلف العلوم. إبتغاء تحديد أيهما المنطقي "لا النفساني" وقيمتها ومداها الموضوع[1].

كما يعرف"إبراهيم مدكور"في معجمه الفلسفي على أنها دراسة نقدية لمبادئ العلوم المختلفة، وفروضها، ونتائجها، وتهدف إلى تحديد أصلها المنطقي وقيمتها الموضوعية.

وتطلق في اللغة الإنجليزية على نظرية المعرفة بوجه عام: يقول رونز: "الابستمولوجيا أحد فروع الفلسفة الذي يبحث في أصل المعرفة وتكوينها، ومناهجها وصحتها"[2].

[1]-عبد الرحمن بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت، (د.ط)، 1974، ص ص67،68.

[2]-إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 1.

وهناك من يفسر نظرية المعرفة بأنها البحث في المعرفة التي يتم اكتسابها ولكن هذا التفسير قد يؤدي إلى القياس واعتبار موضوعها مرتبط بموضوع المنطق والعلوم الجزئية.

وهناك من ينظر إلى نظرية المعرفة باعتبار أنها تبحث في شكل الإدراك الحسي، من حيث مجالاته وحدوده وعلاقته بالفيزيائي، والعمليات العقلية الأخرى، كالتخيل والتذكر والتصور والتجريد وخلافه.

وتتضمن نظرية المعرفة عنصرين متقابلين، هما الشخص العارف، أو الذات العارف وموضوع المعرفة، أي لابد من أن يتوافر في كل معرفة ذات وموضوع[1].

تعرف نظرية المعرفة على أنها دراسة "للعلاقة القائمة بين الذات والموضوع". وعادة ما تضبط الإشكاليات الرئيسية في نظرية المعرفة في إمكانية المعرفة وحدودها ووسيلتها إضافة إلى علاقة الذات العارفة بالموضوع المعروف، بناءا على هذا تحدد طبيعة العلاقة بين المنهج ونظرية المعرفة، في طبيعة العلاقة القائمة بين الذات والموضوع[2].

وفي المعجم الفلسفي لجميل صليبا يعرف في نظرية المعرفة أنها في الفرنسية:

theorie de la connaissance، وفي الإنجليزية gnosiology، نظرية المعرفة هي البحث في المشكلات الفلسفية الناشئة عن العلاقة بين الذات المدركة وللموضوع المدرك أو بين العارف والمعروف، ذاع هذا المصطلح في القرن 19م [3].

وكذلك هي نظرية تبحث في مبادئ المعرفة الإنسانية وطبيعتها ومصدرها وقيمتها وحدودها[4]

[1]-حسين عبد الحميد أحمد رشوان: نظرية المعرفة والمجتمع "دراسة في علم اجتماع المعرفة"، المرجع السابق، ص21.

[2]-طالبي عبد الحق: المنهج الأركيولوجي في فلسفة ميشال فوكو، مذكرة مقدمة في نيل شهادة الماجيستر في الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011/2010، ص ص13،14.

[3]-جميل صليبا: المعجم الفلسفي.(ج2)، المرجع السابق، ص 478.

[4]- إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 203.

وفي الصلة بين الذات المدركة والموضوع المدرك، وبيان إلى أي مدى تكون تصوراتنا مطابقة لما

يؤاخذ فعلا، مستقلا عن الذهن، وتتميز من السيكولوجيا الوصفية المحضة التي تقتصر على التفرقة بين العمليات الذهنية ووصفها دون الفحص عن صحتها أو زيفها، وتتميز أيضا من المنطق الذي يقتصر على أن يصوغ قواعد تطبيق المبادئ، دون أن يبحث عن أصلها، ودون أن يناقش قيمتها، وهي جزء من السيكولوجيا الذي يعسر فيه تجنب الميتافيزيقا[1].

1/ منهج نظرية المعرفة:

ومن البديهي أن يكون منهج نظرية المعرفة فلسفيا إذ أن كل نظرية في المعرفة مرتبطة جوهريا بنسق فلسفي معين، ولا يمكن تصور فلسفة بدون نظرية معرفية دقيقة. والفلسفة بصفة عامة تبحث في الإنسان والكون، وعند بحثها في الإنسان فهي تقف بالضرورة عند معرفته وتؤسس بالتالي نظرية المعرفة.

كما إن نظرية المعرفة هي إذن بالضرورة فلسفية وبالتالي تأسيسية عقلانية، ونظرية المعرفة تتخذ من نظرية المعرفة مرجعا تستند إليه. وهذا ما نجده عند"كانط"الذي كثيرا ما يعتمد على علم النيوتيني، لكن نظرية المعرفة لا تتخذ من المنهج التاريخي منهجا خاصا بها[2].

2/ مجال نظرية المعرفة:

إن موضوع نظرية المعرفة بصفة عامة بجميع أنواعها وتفاصيلها بدون أي استثناء.

ويتعلق السؤال هنا ببنية آلة المعرفة وبمصادرها، وقد اهتمت الفلسفة منذ نشأتها إلى الآن بقضية المعرفة، ويمكن رصد أربعة اتجاهات أساسية في هذا الصدد:[3]

[1]-إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 203.

[2]-عبد القادر بشته: الابستومولوجيا"مثال فلسفة الفيزياء النيوتينية". دار الطليعة، بيروت، لبنان، (ط1)، سبتمبر 1955، ص12.

[3]-المرجع نفسه: ص ص38،39.

أ/ الاتجاه التجريبي: ويرى هذا الاتجاه أن الفكر صفحة بيضاء في البداية وأننا نلتقط جميع معارفنا من التجربة الحسية. ونذكر في هذا المستوى كلا من"لوك"و"هيوم".

ب/الاتجاه العقلاني: ويرى هذا الاتجاه خلافا للأول أن العقل يتكون من أفكار فطرية هي مصدر معرفتنا بالأشياء، وأن دور التجربة هو في أحسن الأحوال دور ثانوي بالمقارنة مع الدور الهائل والكبير الذي يقوم به العقل في عملية المعرفة:"هذا والملاحظ أننا نجد عند العقلانيين عناصر تجريبية ونجد عند التجريبيين عناصر عقلانية"، ونذكر كأمثلة لهذا الاتجاه:"لايبنيتر"،"فولف"،"ديكارت".

ج/الاتجاه المثالي: بعيدا عن مسألة العقل والحس والعلاقة بينهما هناك اتجاه ثالث يرى الأولوية تعطى للأنا العارف في عملية المعرفة.

فهذا الأنا هو المصدر الوحيد للمعرفة: ويقابل هذا الاتجاه النزعة الواقعية التي تعطي الأولوية لموضوع المعرفة ونذكر من بين المثاليين:"بركلي"و"ديكارت"[1].

3/ نظرية المعرفة عند أوغست كونت:

إننا لنجد عند"أوغست كونت"تأكيدا أكثر وضوحا وتبسيطا على هذا الصعيد، فقد بين هذا المفكر الفرنسي مثلا أن الفكر البشري مر بثلاث مراحل هي الفكر اللاهوتي والفكر الميتافيزيقي، والفكر الوضعي، الممثل لنضج الفكر عند الإنسان الذي أصبح ينشد الدقة والفائدة. والوضعية ترادف عند"كونت"العلم كما يتجلى في الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة.

وانطلاقا من اقتناعه بضرورة المعرفة العلمية كما نفهمها اليوم وضع أوغست كونت علما جديدا هو الفيزياء الاجتماعية أو علم الاجتماع. وأكد على ضرورة إتباع علمه الجديد للأساليب العلمية المستخدمة في الفيزياء الرياضية[2].

[1]-عبد القادر بشته: الابستومولوجيا"مثال فلسفة الفيزياء النيوتينية"، المرجع السابق، ص ص38،39.

[2]-المرجع نفسه: ص12.

وسار الوضعيون المحدثون على هدي سلفهم الفرنسي على كل حال في هذا المجال، فلا معرفة حقيقية بالنسبة إلى"كارناب"و"رايشنباخ" مثلا غير العلم الصحيح: لذلك كان تفكيرهم في المعرفة هو التنظير للعلم كما نفهمه اليوم.

وهذا الجدير بالتذكير أن الوضعية الجديدة قد ترعرعت في "كمبردج" بعدما ولدت في "فيينا". ونحن نعتقد أن هذه الملاحظة من شأنها أن تحد من قيمة الربط الموجود في اللغة الإنجليزية بين المعرفة والإبستومولوجيا. ويمكن في نهاية الأمر أن نؤيد الاتجاه العام الذي يجعل من العلم الصحيح موضوعا للإبستومولوجيا[1].

إن"كونت"يقر بأن فلسفة أي علم من العلوم، لا يكون لها اعتبار إلا في الفلسفة العامة للعلوم، وهنا يلفت النظر إلى أنه لا يمكن ترتيب العلوم جنبا إلى جنب للحصول على فلسفة فهو ركز على إعادة النظر في نظام المعرفة باعتباره الوسيلة التي تعيد النظام.

إن أية معرفة لا تصبح علما إلا إذا كانت قد بلغت المرحلة الوضعية من تطورها أي حين تصبح قادرة على أن تنظر إلى موضوعات دراستها.

ووفقا للطريقة الوضعية، وإذا ما نظرنا إلى الزمن الذي أنتج فيه ترتيبه للعلوم، إننا نجد أن العلوم التي اتخذت لديه صفة النموذج بالنسبة للعلم الوضعي هي بالدرجة الأولى العلوم الرياضية ثم الفلك، ثم الفيزياء، ثم الكيمياء، وهكذا بينما كانت علوم الحياة لازالت تخطو نحو الاتصاف بالوضعية، في حين كان من الضروري إقامة علم وضعي بالمجتمع[2].

ثانيا:إشكالية المنهج:[3]

للتحدث عن إشكالية المنهج في الظاهرة الاجتماعية عند"أوغست كونت"يجب أولا التحدث عن المنهج الذي كان يتبعه في دراسة هذه الظواهر.

---

[1]-عبد القادر بشته: الابستومولوجيا"مثال فلسفة الفيزياء النيوتينية"، المرجع السابق، ص12.

[2]-بن عودة أمال وتاجي فاطمة الزهراء، نظرية المعرفة عند أوغست كونت، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في فلسفة العلوم، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2015/2014، ص 63.

[3]-غني ناصر حسين القريشي: المداخل النظرية لعلم الاجتماع، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان،الأردن، (ط1)، 2011، ص113.

يقوم المنهج الوضعي في علم الاجتماع عند"كونت"على الأسس التالية:

1/ تخضع الظواهر الاجتماعية والأحداث التاريخية لقوانين ثابتة وعلى الباحث الاجتماعي أن يتوصل إلى تلك القوانين بوصفها المطلب الأساس للبحث الاجتماعي.

2/ منهج علم الاجتماع أشبه بالمنهج في علم الحياة، الذي يقوم على الانتقال من الكل إلى الأجزاء، من المركب إلى البسيط، فالمجتمع البشري مثل الكائن الحي تتضامن أجزاؤه وتتعاون لخدمة الكل والحفاظ على بقائه، ونجد أن عالم الاجتماع الانجليزي"هربرت سبنسر"1820-1930م قد طور هذه الفكرة فبالغ في تشبيه المجتمع بالكائن الحي، حيث يقابل الأفراد في المجتمع خلايا الكائن الحي، ويقابل الجيش الجلد الذي يحمي الكائن الحي، كما يعد"سبنسر"مطورا لآراء"كونت"الوضعية.

3/ يعتمد المنهج الوضعي على الملاحظة والتجربة بدلا من التأمل والخيال، وعلى الباحث أن يحاول وضع نفسه خارج الظاهرة التي يلاحظها "رغم صعوبة ذلك".

4/ المقارنة هامة جدا في المنهج الوضعي، وهذه المقارنة يمكن أن تهتم بحالات مختلفة توجد في آن واحد في بلدان مختلفة، أو في بلد واحد في مراحل زمنية متعاقبة أو أماكن مختلفة.

إن الملاحظة والتجربة والمقارنة بوصفها طرق يستخدمها المنهج الوضعي لم يكتب لها النجاح دون الاستناد إلى فهم عقلي لتطور الإنسانية، وهو ما أسماه"كونت"بالمنهج التاريخي، وبهذا فإن دراسة التاريخ يجب أن تهدف إلى البحث عن قوانين حركة المجتمع، لتساعدنا في التنبؤ باتجاهات تطور المجتمع أو تطور نسق من الأنساق الاجتماعية[1].

[1]-غني ناصر حسين القريشي: المداخل النظرية لعلم الاجتماع، المرجع السابق، ص114.

وعلى كل فقد واجهت أفكار كونت سواء في حياته أو بعد مماته العديد من الانتقادات التي نوجزها فيما يلي:

1/ ما ادعاه"كونت"من أن جميع الناس في عصره كانوا يفهمون الظواهر الطبيعية ويفسروها بطريقة وضعية علمية، إدعاء غير صحيح، لأنه يجافى المنطق على اعتبار أن المنهجية العلمية شيء غير متاح لعامة الناس، بل يكاد يتاح لخاصة الخاصة منهم بالكاد، ومن هنا.... اعتبر كثيرون أن إدعاءات "كونت"في هذا المجال إن هي إلا محض خيال، ومن ثم تصبح الأسباب التي دعته إلى تأسيس علم الاجتماع أسبابا لا محل لها من الصحة.

2/ "كونت"متهم بأنه يقول غير ما يفعل.... أو يفعل غير ما يقول.... بمعنى أنه أسهب في ضرورة الالتزام بقواعد منهجية ذات سمة علمية.... غير أنه عند التطبيق لم يلتزم بما نادى به.... بل ووقع في المحظورات عند ما توصل -في غياب منهجيته-إلى قوانين فلسفية ذاتية بعيدة كل البعد عن طبائع الظواهر التي درسها أو تعرض لها. ولعل أوضح مثال على ذلك هو قانونه المسمى بقانون المراحل أو الأدوار الثلاثة، ونفس الشيء يمكن أن يقال عمن دراسة كونت للإستاتيكا لأنه انتهى خلالها إلى نهاية فلسفية نتيجة لتشبيهه للمجتمع بجسم الإنسان في نطاق قانون التضامن الذي دعا إليه.

3/ انطلق"كونت"في دراسته الإنسانية، خلال سعيه للتوصل لقانون المراحل الثلاث المشار إليه قبلا. انطلق وفي ذهنه تصور خاطئ على أن الإنسانية-التي هي محور اهتمام علم الاجتماع لديه-كل لا يتجزأ، ونتج عن ذلك ما نادى به"كونت"من أن العقل الإنساني قد سلك في سعيه لفهم وتفسير الظواهر الإنسانية تختلف وتتباين من حيث الزمان والمكان بفعل العديد من الظروف، وأنها تسر يوما على وتيرة واحدة لأن ذلك مجاف لطبيعة الأشياء.

4/ أرجع كونت التطور الذي يعتري الظواهر الاجتماعية، إلى التفكير وربط بينها ربطا عضويا[1]

[1]-صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع السابق، ص 167.

بمعنى أنه لا يمكن أن نرجع التطور الحادث للظواهر المجتمعية لعامل واحد فقط، هذا إلى جانب أن الفكر الإنساني هو الذي يتأثر بتطور الظواهر الاجتماعية وليس العكس[1].

5/ رغم أنه نبه إلى قواعد منهجية قيمة إلا أنه لم يلتزم بها في دراساته[2].

[1]-صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع السابق، ص 167.

[2]-عبد الهادي الجوهري: أصول علم الاجتماع، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2001، ص 128.

المبحث الثاني: نشأة العلم ومراحله.

1/نشأة العلم:

إن مفهوم العلم عند"كونت"يندرج في نفسه ضمن نسق معرفي عام يتمثل في قراءة تطورية معيارية لصيرورة الفكر البشري[1].

حيث يحتل العلم في نظره موقع التتويج في السياق العام لهذا التطور ويتحدد باعتباره مؤشرا على نضج البشرية واكتمال نموها العقلي، وذلك بفعل تطورها وانتقالها من المرحلة اللاهوتية حيث كان التفكير يفسر الظواهر الطبيعية بعوامل ما ورائية مفارقة للمعطي الطبيعي، إلى المرحلة الميتافيزيقية حيث صار التفكير في لحظة مراهقته يفسر ظواهر الطبيعية تفسيرا مهاويا فلسفيا ليس بإرجاعها إلى علل مفارقة بل إلى علل محايثة، وانتهائها بالمرحلة الوضعية التي يصل فيها العقل البشري إلى مستوى نضجه حسب"كونت"فيتخلى عن الأسئلة الميتافيزيقية ويدرك استحالتها.

ففي كتابة دروس في الفلسفة الوضعية الصادرة سنة 1842م حاول فيه تحديد معنى للعلم يختلف عن المعنى الشائع في عصره، وهو المعرفة المنظمة المتعلقة بموضوع واحد فكلمة علم لا تطلق إلا على المعرفة التي تكتفي باكتشاف العلاقات الظاهرة وهذه المعرفة لا تكون ممكنة إلا في المرحلة الأخيرة من التطور الذي يمر به العقل البشري.

2/ مراحله:

حسب"كونت"إن تاريخ الفكر البشري يخضع لقانون أساسي للتطور في الحياة البشرية والذي أطلق عليه "قانون المراحل الثلاث"، واعتبره قانونا هاما يخضع له التطور بالضرورة وتشبثه، على أساس متين الأدلة العقلية التي تزودنا بها معرفة تنظيمنا الاجتماعي[2].

أو الأدلة التاريخية التي تنتج عن فحص شبه لأحداث الماضي هذا القانون هو أن كل مفهوم من مفاهيمنا الرئيسية وكل فرع من معارفنا يتم على التوالي، ثلاث مراحل نظرية مختلفة:

[1]-أوغست كونت، في ميزان الفكر الاجتماعي الغربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (ط1)، 1949، ص18.

[2]-بن عودة أمال وتاجي فاطمة: نظرية المعرفة عند أوغست كونت، المرجع السابق، ص46.

أ/ المرحلة اللاهوتية الوهمية.

ب/ المرحلة الميتافيزيقية أو التجريدية.

ج/ المرحلة العلمية أو الوضعية[1].

وقانون الأطوار الثلاث هذا يخضع له -في نظر كونت- ليس فقط تطور الإنسانية بل وأيضا تطور الفرد، والجماعات وكل العلوم[2].

لقد تكهن "تيرجو" و"كوندرسية" والدكتور "بيردان" بهذا القانون. بل حددت صيغته منذ القرن الثامن عشر. ومع هذا فإن"كونت"ينسب إلى نفسه أنه كشف عنه. ولما كان "كونت" دقيقا، على وجه العموم، في الاعتراف بالفضل لسابقيه وجب التسليم، تبعا له، بأن أحد من هؤلاء لم يلمح القيمة العلمية لهذا القانون، فهناك فارق في الواقع بين مجرد استخلاص هذا القانون من الظواهر وبين إدراك أهميته الرئيسية والتعرف فيه على القانون الأساسي الذي يسيطر على التطور العام الإنسانية[3].

أ/ المرحلة اللاهوتية "الوهمية":

وتتميز بأن مشاعر الإنسان وحياته تتصل أساسا بالبحث عن طبيعة الأشياء وأسبابها، وغاياتها، وتتخذ التفسيرات فيها شكل الأساطير المتعلقة بالأرواح والكائنات فوق الطبيعة.كذلك يطلق عليها الحالة التخيلية[4].

ويعمد فيها الإنسان إلى تفسير الظواهر في العالم بأفعال أخرى تعزى إلى كائنات فوق الطبيعية[5].

---

[1]-بن عودة أمال وتاجي فاطمة: نظرية المعرفة عند أوغست كونت، المرجع السابق، ص ص 46،47.

[2]-ج، بتروني: مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، تر: عبد الرحمن بدوي ومحمد ثابت الفندي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1964، ص 13.

[3]-ليفي بريل: فلسفة أوغست كونت، المصدر السابق، ص ص 50، 51.

[4]-جازية كيران، محاضرات في المنهجية لطلاب علم الاجتماع، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د(ط)، 2008، ص 21.

[5]-بيتر كونزمان وآخرون:أطلس الفلسفة، تر: جورج كتوره، المكتبة الشرقية، علي مولا، بيروت، لبنان، (ط2)، 2007، ص 165.

وكذلك يعني بها المرحلة الدينية وقد مرت بها الإنسانية، في طفولتها المبكرة، واللاهوتية لا تعني هنا دراسة الإلهيات أو العقائد، وإنما تعني في مفهوم"كونت"منهجا أو طريقا لتفسير الظواهر الاجتماعية، والإنسان في هذه المرحلة كثيرا ما وقف حائرا أمام ما يراه من ظواهر وخوارق لم يستطع عقله في ذلك الوقت أن يجد مبررا مناسبا لها، وبالتالي لم يجد أمامه من تفسير مقنع إلا أن يردها إلى القوى الخفية أو الغيبية التي تسيطر على العالم من حوله، أو تهيئ له قناعاته بآلهته بأنها الوحيدة المسؤولة عما حدث ويحدث من حوله.

ويرى"كونت"أن الإنسان خلال تلك المرحلة أضفى على آلهته الكثير من الخصائص الإنسانية من فرح وغضب وتنازع على البقاء، وعلى هذا الأساس أعطى إنسان تلك المرحلة بعض السمات الرمزية لما يراه حوله من ظواهر طبيعية، فعندما تهب العاصفة فإن الآلهة تتصارع، وعندما يثور بركان أو يفيض نهر أو يعصف ريح أو يشب حريق أو يقع زلزال....إلخ فهذا معناه أن الآلهة غاضبة.... وهكذا.

وأكد"كونت"على أن تلك التفسيرات كانت ترضى إنسان ذلك العصر وتروي ظمأه لمعرفة ما يدور حوله من ظواهر، مع ملاحظة أن مرحلة التفكير اللاهوتي تلك قد مرت هي الأخرى بأطوار ثلاثة...ابتداء من الطوطمية... ومرورا الآلهة، وصولا إلى وحدانية الإله[1].

كما أنه يمكننا القول أنه في هذه المرحلة تقود الإنسانية أبحاثها جوهريا نحو الطبيعة الداخلية للكائنات، نحو الأسباب الأولى والنهائية لكل المؤثرات التي تؤثر فيها، أي نحو المعارف المطلقة، حيث تتمثل الظاهرات كنتائج بواسطة الفعل المباشر والمتصل لعوامل فوق طبيعية قليلة أو كثيرة، حيث التدخل الكيفي يفسر كل الشذوذ الظاهر في الكون[2].

[1]-صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع السابق، ص ص 156، 157.

[2]-بيار ماشيري: كونت"الفلسفة والعلوم"، تر: سامي أدهم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط1)، 1994،ص24.

أي يجب على الذات أن تبدأ في تطويرها من مفاهيم مطلقة، وكما هي بالضرورة وهمية وكيفية، لأنها تستبعد من الاعتبار علاقات فاعلة بين الظاهرات، للبحث خلفها في مكان آخر من مكان ظهورها، عن "الأساليب" وعن "العلل" التي تكون وجودها[1].

ب/ المرحلة الميتافيزيقية "التجريدية":

أطلق عليها اسم المرحلة الميتافيزيقية، وتمتاز هذه المرحلة بالتأمل العقلي، والبحث عن المعاني والدلالات. والتفكير في ضوء المثاليات والأشكال، أما التغيرات النظامية التي تشهدها هذه المرحلة فهي نمو القدرة الدفاعية واتساع نطاق القانون[2].

والمرحلة الميتافيزيقية أو المجردة فهي في الحقيقة لاهوت مقنع، بمعنى أن هذه ليست منتجة بل قد جرى استبدالها بوحدات مجردة"فارغة" والمرحلة هذه ليست منتجة بل هي مرحلة تحليل وبالتالي فهي توصل إلى المرحلة التي تليها[3].

ومفهوم الميتافيزيقية هنا لا يعني البحث في أصل الوجود أو في غير ذلك من القضايا الفلسفية المتعلقة بأصل الأنواع وما إليها، ولكن قصد بها كونت طريقة التفكير المرتكزة على الفروض المجردة لتفسير مختلف الظواهر.

واعتبرت هذه المرحلة- في رأي كونت- مرحلة انتقالية تمكن الإنسان من خلالها من أن يتخيل أو يتصور تفسيرا جديدا للظواهر من حوله، فبدلا من أنه كان يرجع ذلك لأسباب وقوى غيبية خارجة عن نطاقه ونطاق الظواهر المحسوسة من حوله،بدلا من ذلك راح يفسر ما يراه ويرجعه لأسباب تعود لتلك الظواهر نفسها، أو بمعنى آخر فإن سبب أو علة ما يحدث من تغيرات مجتمعية[4]

[1]-بيار مشيري:كونت:"الفلسفة والعلوم"، المصدر السابق، ص 24.

[2]-جازية كيران: محاضرات في المنهجية لطلاب علم الاجتماع، المرجع السابق، ص 21.

[3]-بيتر كونزمان وآخرون: أطلس الفلسفة، المصدر السابق، ص165.

[4]-صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع السابق، ص ص156،157.

تحيط بذلك الإنسان إنما تعود إلى طبيعة الأشياء وليس لأسباب أو قوى خارجية، وهكذا حلت "الطبيعة" محل "الإله" في تفسير وتعليل الظواهر المحيطة بالإنسان[1].

كما أنه في هذه المرحلة الميتافيزيقية يرمي العقل كذلك إلى إستكناه صميم الأشياء وأصلها ومصيرها، ولكنه يستبدل بالعلل المقارنة عللا ذاتية يتوهمها في باطن الأشياء، وما هي إلا معان مجردة

جسمها له الخيال فقال: العلة أو القوة الفاعلية والجوهر والماهية والنفس والحرية والغاية وما إليها. والميل الذي ساقه في الحالة السابقة من الفيتشية إلى تعدد الآلهة فإلى التوحيد، يسوقه هنا أولا إلى الاعتقاد بقوى بعدد طوائف الظواهر، مثل القوة الكيميائية القوة الحيوية، ثم إلى إرجاع مختلف القوى إلى قوة أولية هي:"الطبيعة" لذا تبلغ هذه الحالة أوجهها في مذهب وحدة الوجود الذي يجمع في "الطبيعية" جميع القوى الميتافيزيقية. وكل الفرق بينها وبين الحالة السالفة أن المجرد يحل محل الشخص، ويحل الاستدلال محل الخيال.

أما الملاحظة فثانوية فيها جميعا. والحالة الميتافيزيقية فترة انتقال وأداة انحلال:

هي فترة نقد عقيم ولكنه ضروري، وإذا كان العقل في هذه الحالة يضع معاني أو قوى موضع فيبين التناقض فيها. فإنه يضعف في سلطان القوى المفارقة. هذا من الوجهة النظرية. أما من الوجهة العلمية فيبدو الانحلال في انتشار الشك والأنانية، فيفصم الفرد الرباط الذي يربطه بالمجتمع، ويثقف العقل على حساب العاطفة، ويتصور الاجتماع ناشئا من تعاقد الأفراد، وتقام الدولة على مبدأ سلطة الشعب، ويحكمها القانونيون[2].

[1]-صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع السابق، ص157.

[2]-يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط5) 1986، ص 318.

بعد الثورة الصناعية اتضح عدم ملائمة المرحلتين اللاهوتية والميتافيزيقية، وإنما الإنسان في حاجة إلى أساس سليم للمعرفة والحياة الاقتصادية والسياسية، مما دفعه إلى الدخول في المرحلة الثالثة[1]

والتي أطلق عليها اسم المرحلة الوضعية.

ج/ المرحلة الوضعية: "العلمية":

فيها يرفض الإنسان تلك الافتراضات اللاهوتية والميتافيزيقية، التي تفسر الظواهر إما على أساس اللاهوتية أو الماهيات، فالإنسان في المرحلة الثالثة عليه البحث على الأسباب الحقيقية لوقوع الأحداث والظواهر. ويمكن الكشف عن تلك الأسباب عن طريق القوانين الطبيعية، التي تفسر الارتباط القائم بين الظواهر، ولا يتحقق ذلك إلا بالعلم الوضعي المتماسك منطقيا، والقائم على أساس الملاحظة والتجربة.

وحسب ما ذهب إليه إن هذه المرحلة الثالثة تمثل قانونا عاما ينطبق على الإنسانية بأسرها، فهو أكثر من مجرد مبدأ يحكم تقدم المعرفة. فالفرد في تربيته وتعليمه وتطوره إنما يمر بهذه المراحل الثلاث شأنه شأن المجتمع الإنساني ذاته[2].

وكذلك في هذه المرحلة يصار إلى التخلي عن البحث السبب الأخير لتتحول المعرفة إلى معرفة الوقائع القائمة. إن أساس البحث هو الملاحظة التي تتيح معرفة القوانين العامة. كما أن المرحلة الوضعية هي أعلى مرحلة يمكن للعقل أن يبلغها إلا أنه وفي مجالات أخرى قد يقف طويلا عند المراحل السابقة[3]. وهي مرحلة قد بلغت الكمال في العلم وفي التفكير الإنساني، وأدرك خلالها العقل البشري حقيقيتين هامتين: أولهما - أن انتظام الظواهر لا يمكن أن تبرره المعجزات أو تفسره رغبات الآلهة، وبالتالي لا يمكن تفسيرها استنادا على كلمات الفلاسفة أو إدعاءات الكهان، أما

[1] -جازية كيران: محاضرات في المنهجية لطلاب علم الاجتماع، المرجع السابق، ص22.

[2] -جازية كيران: محاضرات في المنهجية لطلاب علم الاجتماع، المرجع السابق، ص ص 22، 23.

[3] -بيتر كونزمان وآخرون: أطلس الفلسفة، المصدر السابق، ص165.

الحقيقة الثانية – فهي أنه ليس في مقدور الإنسان أن يصل إلى تفسيرات مطلقة خلال بحثة عن أصل الأشياء وغاياتها[1].

وبناء على ذلك فإن الإنسان -خلال هذه المرحلة- قنع بالسعي لاكتشاف القوانين التي تسير مختلف الظواهر حوله في تعاقبها المستمر وترافقها الدائم، وكانت ركيزته في ذلك عقلا واعيا. وملاحظة مقننة ومنهجا في التفكير الوضعي لا يفتش عن سبب حدوث تلك الظواهر من حوله بقدر اهتمامه عن كيفية حدوث تلك الظواهر، وكانت هذه الخطوة -في رأي كونت- هي الحاسمة في سبيل تطور الاتجاه العلمي وتقدمه.كما تميزت هذه المرحلة بانحسار التأملات الفلسفية والشطحات الفكرية.

لتحل محلها ملاحظة حسية مدعومة بالتجربة العلمية التي تقود الإنسان إلى نتائج يقينية فوق مستوى الحدس والتخمين.

هذا و لم يكتف كونت بعرض قانون المراحل أو الحالات الثلاث السابق الإشارة إليه فقط، بل أقام مجموعة من الارتباطات بين تلك المراحل وبين مراحل تقدم ونمو الحياة المادية للإنسان. واعتبر كونت الحالات الثلاث المشار إليها قبلا إن هي إلا حالات عقلية وقابل بينها وبين أشكال الوحدات الاجتماعية السائدة خلال كل مرحلة، وبينها كذلك وبين كل من أنماط النظم الاجتماعية فضلا عن المشاعر الإنسانية السائدة، فنجد كونت مثلا قد ربط بين اللاهوتية كحالة عقلية وبين شيوع النمط العسكري، وكذلك سيادة الأسرة كوحدة اجتماعية مع وضوح مشاعر المحبة والتعاون، أما الميتافيزيقية فقد ارتبطت في مفهوم كونت بالمرحلة التشريعية وظهور الدولة كنظام جمعي مع سيادة مشاعر الاحترام والتبجيل، أما الوضعية كحالة عقلية فقد ارتبطت بظهور الصناعي وبروز الإنسانية في ظل نظام عالمي مؤمن بالإحسان والخير.

[1]-صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع السابق، ص158.

هذا و لم تكن تلك المراحل عند كونت مجرد مبدأ بل صارت عنده قانونا يحكم تقدم المعرفة وينطبق ليس فقط على المجتمعات الإنسانية إنما ينسحب بالضرورة على الأفراد في تطورهم وتربيتهم وتعليمهم كذلك[1].

كذلك إن دلالات ما هو "وضعي" هي: الواقعي والنافع، وبذلك يصار إلى تجاوز الفصل بين النظرية والتطبيق العملي، اليقيني بمقابل الملتبس في المسائل الماورائية، الدقيق، البنائي بل النسبي أيضا بدل الإدعاءات الميتافيزيقية بالمطلق.

وإزاء كل حالة تصادف شكل مجتمع محدد:ففي الحالة اللاهوتية نجد مجتمعا كنسيا وإقطاعيا، وفي الحالة الميتافيزيقية نجد مجتمعا ثوريا، أما في الحالة الوضعية فنجد مجتمعا علميا وصناعيا[2].

وأخيرا فإن قانون المراحل الثلاث هو قانون ضروري، وذلك حسب وجهات النظر الثلاث الآتية: إنه يطبق بتطابق تام على كل مسارات الذهن بحيث لا يفلت منه أي واحد، فهو يخضع تطور الذات، كما ينفذ من خلال علاقتها مع الوسط الخارجي، لمبدأ تعاقب غير منعكس، وأخيرا فهو ينشئ، انطلاقا من أصل ضروري، وبالمرور من شكل متوسط انتقالي، مرحلة نهائية "ثابتة ونهائية". وفي نطاق حيث التاريخ يعتمد على مثل هذا القانون، الذي يكون له التفسير العقلاني، فإنه يحال إلى مبدأ بنائي للثابتية: وبوضعه الأسس لعلم التاريخ، فإن كونت يريد أن يكشف ما فيه من شيء دائم وهنا كذلك، فالتاريخ والطبيعة يجب أن يفكرا سوية. وهذا ما ينظره كونت بعد ذلك مؤكدا على الخضوع الضروري للتقدم وللنظام[3].

[1]-صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع السابق، ص ص158،159.

[2]-بيتر كونزمان وآخرون: أطلس الفلسفة، المصدر السابق، ص 165.

[3]-بيار مشيري: كونت الفلسفة والعلوم، المصدر السابق، ص23.

المبحث الثالث: القوانين الاجتماعية

يرى"أوغست كونت"أن علم الاجتماع ينقسم إلى قسمين رئيسيين: علم الإحصاء الاجتماعي

social statics والديناميكية الاجتماعية social dynamics إذ يقول: "يتمثل الجانب الإستاتيكي لعلم الاجتماع في دراسة القوانين وردود الأفعال التي تخضع لها مختلف أجزاء النسق الاجتماعي. وهو يؤكد أنه ينبغي علينا اعتبار أجزاء المجتمع كيانا كليا، أما الديناميكية فترتكز على مجتمعات كاملة وتتخذها وحدة التحليل الاجتماعي"[1].

وكذلك يمكننا أن نعرف القسم الأول من علم الاجتماع في نظر"كونت"على أن الديناميك الاجتماعي يختص بدراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في تطورها، أي أنه يدرس المجتمع الإنساني في عمومه وكليته ومن ناحية تطوره وانتقاله من حال إلى حال. وأما القسم الثاني فيعني بدراسة المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها وباعتبارها ثابتة في فترة معينة من تاريخها ويطلق على هذا الجزء الإستاتيكا الاجتماعية[2].

ونجد أن الديناميكا الاجتماعية تدرس الاجتماع الإنساني في جملته ولا نعني بتفاصيل من نظم سياسية وقضائية واقتصادية وخلقية ودينية وغيرها، كما تمتاز بخاصية أخرى وهي أنها تدرس الاجتماع الإنساني في تطوره والغرض الأساسي لهذه الدراسة هو الكشف عن القوانين التي يسير عليها هذا الاجتماع في انتقاله من صورة إلى صورة أفضل.

أما الإستاتيك الاجتماعي فهي تدرس الاجتماع الإنساني في تفاصيله لا في جملته كما تفعل[3]

[1]-جيل فيريول: معجم مصطلحات علم الاجتماع، تر: أنسام محمد الأسعد، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (ط1)، 2011، ص07.

[2]-عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د،ط)، 1981، ص ص61،62.

[3]-عبد الهادي الجوهري: أصول علم الاجتماع، المرجع السابق، ص ص126،127.

الديناميكا، كما أنها تدرس هذه التفاصيل من الناحية الإستقرارية لا من الناحية التطورية، وترمي هذه الدراسة إلى شرح الأجزاء والعناصر التي تتألف منها الظواهر الاجتماعية والوظائف التي تقد بها وعلاقة هذه الوظائف بعضها ببعض وتشبه هذه الدراسة علم التشريح إلى حد كبير.

وقد بدأ كونت بحوثه بالشعبة الأولى وهي "الديناميكا الاجتماعي"ووقف عليها معظم دراسته، ثم انتقل إلى دراسة الشعبة الثانية وهي "الإستاتيك الاجتماعي"[1].

1/ الديناميكا الاجتماعي social dynamics:

تعتبر آراء كونت التي عرضنا لها في نظريته عن "قانون الحالات الثلاث" هي المعبر الأساسي عن آراءه في الديناميكا الاجتماعي، فالمجتمع عند كونت تطور خلال ثلاث مراحل من المجتمع الخرافي إلى المجتمع القائم على التفكير الميتافيزيقي وأخيرا المجتمع المعاصر الذي يقوم على التفكير الوضعي أو العلمي.

والعصر الوضعي عند كونت يبدأ بالثورة الفرنسية، وأهم ما يميز هذا العصر هو استقلال الفكر الإنساني وأخذه بالأساليب العلمية وبعده عن الخرافات والغيبيات، وهو يرى أن هذا المنهج يؤدي بالمجتمع إلى التقدم والتطور في كل الأنشطة والمجالات من صناعة وفن وعلم[2].

كما بعد هذا الفرع في نظر كونت الجزء الرئيسي في علم الاجتماع، وهو يقول لنا إنه قد شغل اهتمامه بصفة خاصة، واحتل فيه مكانة يكاد لا ينازعها فيها شيء آخر.

ويمكن تعريف علم الاجتماع الديناميكي بأنه علم الحركة الضرورية المتصلة الإنسانية، أو باختصار علم قوانين التطور، وكما هي الحال في علم الاجتماع الخاص بالاستقرار[3]

[1]-عبد الهادي الجوهري: أصول علم الاجتماع، المرجع السابق، ص ص126،127.
[2]-محمد أحمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص191.
[3]-ليفي بريل: فلسفة أوغست كونت، المصدر السابق، ص276.

-أو ربما كان الأمر هنا أشد ظهورا- لا يدرس علم الاجتماع سوى حالة واحدة هي حالة النوع الإنساني الذي ينظر إليه على أنه كائن وحيد يجب أن يدرس في مجموع تطوره في الماضي والمستقبل. ولكن إذا نحن لم نتجاهل الفارق بين علم الحياة وعلم الاجتماع، أليس لنا أن نبحث أولا، خلال الطبيعة المادية والخلقية للإنسان المنفرد، عن بعض الشروط التي تسمح بهذا التطور الاجتماعي؟ لم تخف هذه المسألة عن كونت وقد قال أنه من الأفق أن نبدأ بها كتابة بحث منهجي في العلم الاجتماعي. ومع ذلك لم يبحثها بحثا مفصلا، بل اكتفى بأن أشار إلى تلك الغريزة الأساسية التي تعد نتيجة مركبة للتعاون الضروري بين جميع نوازعنا الطبيعية، والتي تدفع المرء إلى تحسين حاله بطريقة مستمرة في جميع الاتجاهات، أو إلى تنمية مجموعة قواه الطبيعية والخلقية والعقلية من جميع النواحي، بالقدر الذي تسمح به الظروف التي يوجد فيها[1].

2/ الإستاتيك الاجتماعي "statique social":

أ/ الإستاتيك: statique، statics:

1/ فرع من الميكانيكا يبحث في توازن القوى التي تؤثر في الأجسام وهي في حالة سكون

2/ دراسة الظواهر في حالتها الراهنة بغض النظر عن تطورها أو تغيرها، فيقال مثلا علم الاجتماع الإستاتيكي، في مقابل علم الاجتماع الديناميكي.

ب/ الإستاتيكا الاجتماعية "statique social":

هذا المصطلح من وضع"أوغست كونت"ويقصد به دراسة الظواهر الاجتماعية في حالتها الراهنة بغض النظر عن تطورها أو تغيرها[2].

[1]-ليفي بريل: فلسفة أوغست كونت، المصدر السابق، ص ص276،277.

[2]-مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (ط5)، 2007، ص ص 47، 48.

كما يرى أوغست كونت أن الدعامة الأساسية لقيام أي مجتمع من المجتمعات هي مبدأ التعاون، هذا التعاون تابع أساسا مما يتمتع به الإنسان من عواطف الإيثار وحب الغير وحب الاجتماع بالآخرين، وإن كان يرى أن تلك العواطف ليست كافة القيام حياة اجتماعية مستمرة. لهذا كان من المهم وجود حكومة قوية تسوس بين الأفراد وتشيع النظام.

ويرى أن الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع لأنها بطبيعة تكوينها يسود فيها مبدأ التعاون وتقسيم العمل أي أن الأسرة تعتبر في نظر كونت عبارة عن مجتمع صغير لهذا وجب على رجال السياسة دائما أن يتجهوا إلى تدعيم نظام الأسرة باعتباره هو أساس المجتمع وخليته الأولى.

والمجتمعات المركبة complex تتألف عادة من مجموعة من الأسر تعيش على نظام تقسيم العمل، وينشأ بينها نوع من التضامن كالذي ينشأ بين الأعضاء المختلفة في جسم الإنسان حيث أن لكل عضو من هذه الأعضاء دور ووظيفة، وفي الوقت ذاته يعتمد كل عضو على الآخر ويتعاون معه للوصول بالجسم كله إلى حالة من الاستقرار والتوازن والكمال.

وفي ضوء هذه الحقائق يمكننا أن نفهم كيف يعمل المجتمع فعملية تقسيم العمل تؤدي بالعناصر المختلفة للمجتمع إلى التخصص كل في ناحية خاصة، فإذا ما اتجه كل فريق وجهته الخاصة دون مراعاة لظروف المجتمع وحاجاته المتعددة نشأ عن ذلك تفكك وحدة المجتمع وانهياره، ولهذا كان الواجب على الحكومة أو السلطة داخل الدولة أن تعمل بجد وقوة على حفظ النظام وعلى تحقيق التكافؤ والتفاعل والتعاون بين القوى المختلفة التي يتألف منها ذلك المجتمع[1].

[1]-أحمد محمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص ص 190،191.

الفصل الرابع: مفهوم علم الاجتماع بين القبول والرفض.

المبحث الأول: نقد الفلسفة الوضعية.

المبحث الثاني: البديل المعرفي.

المبحث الثالث: أفاق البحث.

المبحث الأول:نقد الفلسفة الوضعية:

لا ريب أنه قد كان لهذا الرجل تأثير عميق على الحياة الفكرية في الغرب، وبصمة واضحة على الكثير من المفكرين الذين قادوا الحركة الفكرية الغربية فيما بعد"أما فلسفته فقد كانت مصدر وحي لجميع تيارات الحركة التقليدية وتيارات الفلسفة الاجتماعية، وهي قد رفعت مستوى هذه التيارات إلى مرتبة عقلية سامية فحولت بذالك التأمل السياسي إلى بناء فكرة إيجابية"إلا أننا نجد كثير من الدارسين الغربيين قد رموا هذه الفلسفة الوضعية بالسذاجة وضيق الأفق وعدم الواقعية، ومن ثم النقص والقصور عن تحقيق المنفعة للإنسان[1].

على أية حال يؤخذ على كونت مآخذ كثيرة منها:

1/ أن الأسباب التي دعته إلى إنشاء علم الاجتماع تبدو وكأنها أسباب خيالية من وحي تفكيره الخاص ولا تمت بصلة إلى حقائق الأمور، فليس صحيح أن الناس في عصره كانوا يفهمون ظواهر الطبيعة فهماً موضوعياً وليس صحيحاً أيضاً أن الناس في عهده كانوا يفهمون ظواهر الاجتماع فهماً غير وضعي،فهذا الأسلوب أو ذاك من الفهم كان مقصوراً على جماعة من الباحثين وكان كثيراً من الظواهر الاجتماعية موضوعا للدراسة العلمية.

2/ بالرغم من استخدام كونت إلى قواعد منهجية لها أهميتها العلمية إلا أنه لم يلتزم بها في دراسته، بدلاً من ذالك نجده يصل إلى قوانين فلسفية شخصية بدلاً من قوانين مستمدة من الوقائع، بالإضافة إلى أن كونت أشار إلى منهجه لأنه أقامه على أساس صحة قانون الأحول الثلاثة.

3/ فيما يتعلق بقانون الحالات الثلاثة نجد أن كونت درس الإنسانية بوصفها كلاً لا يتجزأ مع أن الشيء الملاحظ أن المجتمعات الإنسانية جزئية و مختلفة وزعمه بأن الإنسانية تسير كلها على وتيرة واحدة في فهم الأشياء أمر ترفضه الملاحظة، فالمراحل التي يجتازها كل مجتمع في هذا الصدد تختلف في فهم الظواهر بالطرق الثلاثة مرتبة على صورة التي ذكرها كونت[2].

[1]-محمد عبد الله الشرقاوي: مدخل نقدي لدراسة الفلسفة، دار الجيل، بيروت، لبنان، (ط2) ،1999، ص162.

[2]- محمد أحمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص193.

فقد فمه الأقدمون كثيراً من الحقائق الرياضية والفلكية فهماً وصفياً قبل ظواهر العلوم الأخرى، ولازالت بعض المجتمعات تفسر الحقائق العلمية تفسيراً دينياً أو ميتافيزيقياَ.

4/ يرجع كونت تطور الظواهر الاجتماعية لتطور التفكير، مع أن تطور شؤون المجتمع ينجم عن عوامل كثيرة تتفاعل آثارها وتنمو نتائجها وتطور التفكير ذاته ليس إلا مظهراً من مظاهر تطور المجتمع، ولا يعتبر هو نفسه سبباً لهذا التطور.

5/ إن إدعاء كونت بأنه وصل من تحليل عناصر المجتمع ووظائفه إلى تقرير قانون التضامن الاجتماعي المادي و الروحي لا يستقيم مع ما نشاهده في كل مجتمع من قيام تيارات نقدية و اتجاهات ترمي إلى تقويض النظم الموجودة مع أن هذه الأفكار وغيرها قائمة على أساس التضامن، وقد يكون رأيه عن التضامن صحيحاً ولكن كونت لم يجعل لها سنداً من التاريخ[1].

كما نجد أن فكرة الوضعية عند كونت تعبر في جوهرها عن اتجاه فلسفي يريد تحرير العلم من ربقة الفلسفة، أو الميتافيزيقا وتأملاتها، ولكنها مع هذا أدت إلى نتيجة عكسية في تاريخ الفلسفة والعلم،وحقيقة يمكننا أن نعود بالفكرة إلى أصولها الفلسفية إلى"هيوم"و"كانط"، لقد أعلن"هيوم"من قبل القضايا العلمية لابد أن تمتحن أو تختبر في مقابل الخبرة، ولقد استفاد"كانط"من هذا الرأي حين كتب كتابه الخالد"نقد العقل الخالص"وقنن فيه الحدود لدوائر المعرفة على اختلافها، وحدد الضوابط التي تحكم معرفتنا، وذلك حين حدد للعلم دائرته وجعل الخبرة محورها:"يبدأ منها وينتهي إليها"وحين جعل للفلسفة دورها وكيانها ووظيفتها في النسق المعرفي، وأخيراً حين خرج بدائرة المعرفة الدينية إلى الضمير أو العقل العملي، ورفض أن يتخذ من معطيات دائرة من هذه الدوائر برهاناً على المعرفة في غيرها من الدوائر.

لقد كان التراث أمام كونت، وكان يريد لفلسفته الوضعية: "تحقيق غرضين: الأول فلسفي وهو تقييم تصوراتنا العلمية، والآخر سياسي وهو تقنين فن الحياة الاجتماعية" [2].

[1]-محمد أحمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص193.

[2]-ماهر عبد القادر محمد: فلسفة العلوم"المشكلات المعرفية"، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، (ط2)، 2000، ص20.

ويصرخ"أندريه كريسون"في وجه"كونت"-الذي ادعى أنه بنى فلسفته على العلم-قائلاً: أيها العلم كم من تلفيقات صدرت باسمك؟ ويقول"كريسون"أيضاً: لقد وقع كونت في مهاوي العثرة، فهذا المفكر لم يكن دائماً واسع الفكر، وغالباً ما كانت آراؤه ضيقة بشكل غريب.

أما"إميل بوترو"فيقول: يبدو المذهب الوضعي كله وكأنه في حالة توازن غير مستقر، فهو لا يعرف إلا الواقع والنافع، ولكن الواقع والنافع يستلزمان بالضرورة غيرهما، إن لم يكن ما هو أعلى منهما، وهو مذهب ضيق يحسبه كونت مطلقاً لكنه في الحقيقة ضيق مغلق، إن العلم نفسه يضيق ذرعاً في هذا المذهب، لأنه قد فرض عليه كونت قيوداً وهمية تحكمية من نسج الخيال وحده.

وليس الدين في هذا المذهب الوضعي أقل ضيقاً من العلم والعقل، ويرجع الضيق الذي أحس به إلى المبدأ الذي اصطنعه وهو"الإنسانية"فالإنسانية فكرة غامضة عاجزة عن تقديم مبدأ أول يحل محله الإله و الخلود، وهذا المذهب يؤدي إلى اعتبار الإنسان وحده مقياس الأشياء، وهذا يفضي إلى السفسطة الفارغة.

إذا كان في فطرة الإنسان تطلع عميق نحو المطلق، فإن من العبث لاقتلاع رغبة الإنسان في تجاوز نفسه محاولة البرهنة على أن هذه الرغبة وهمية، بحيث يجب أن تضمر وتختفي شيئاً فشيئا كأنها عضو لم تعد له وظيفة، لأن الإنسان الواقعي لا يعترف شرط وجوده مما يوصفه له، و"كونت"يحرم علينا أن نرى شيئا أو نبحث شيئا يجاوز العالم الذي نعيش فيه.

وفي رأينا أن ماجاء به كونت ليس أكثر من رواية أو مسرحية هزلية عابثة، أو قل إنها "مدينة مثالية خيالية"أو"يوتوبيا"جديدة لا تقل غرابتها وسذاجتها عن جمهورية جده "أفلاطون".

ولأن العقل الغربي مغرم-لأسباب عديدة-بكل ماهو غريب وشاذ وسطحي من الأفكار والآراء، فقد وجدت هذه النظرية صدى في الدوائر الفلسفية الغربية، بل إنها لتعد مصدر وحي عام، ومعبراً أميناً عن المنطق الفكري الغربي المعاصر. وكما ذكرنا من قبل، فإن فلسفة أو"يوتوبيا" "كونت"، قد أفرزتها ظروف الاضطراب والقلق والانحطاط في فرنسا ما بعد الثورة خاصة، وفي الغرب عامة[1].

[1]-محمد عبد الله الشرقاوي: مدخل نقدي لدراسة الفلسفة، المرجع السابق، ص163.

وتراكمات العصور الوسطى كلها،وقد كانت اقتراحا لحل هذه الأزمة المحلية الغربية كما صرح كونت بنفسه، لكن الرجل-وقد استغرقته أحاسيس النشوة بالوقوع على هذه الفلسفة العظمى- قد أصابت عقله المرهق المنحل تخت وطأة الأزمة الفرنسية لوثة إضافية فنادى بالعمل على ضرورة هداية أمم الشرق الضالة بنور مذهبه الجديد[1].

وهناك وجهة نظر بديلة جذبت إليها كثيراً من الأنصار في السنوات الحديثة، وهي فلسفة ما بعد الوضعPositivisme.وترفض هذه الفلسفة فكرة العلم العقلي والموضوعي خاصة في علم الاجتماع. ويصف كل من"شويدر"و"فيسك"فلسفة مابعد الوضعية بقولهما: "إن مظهر الانحراف في التفكير المعاصر يتمثل في إثارة شكوك خطيرة حول ما إذا كانت هناك أية معايير أو قواعد أو مناهج مميزة للتفكير العلمي أو العقلي، وقد تعرضت لأشكال متعددة من الدفاع والتوضيح والتنقيح ثم الهجر في النهاية"وتعبر جميع هذه المحاولات الأخيرة عن فلسفة ما بعد الوضعية[2].

يقول أحمد خضر في كتابه"اعترافات علماء الاجتماع: عقم النظرية وقصور المنهج في علم"الاجتماع" أن علم الاجتماع ماهو إلا صياغة لمعتوه فرنسي، ويضيف أنه ما يجب أولاً الإقرار به هو أن علم الاجتماع بالمعنى الأكاديمي الحديث الذي يدرس في جامعاتنا-بما فيها الجامعات الإسلامية- هو أوروبي النشأة،تأسس على يد معتوه فرنسي اسمه "أوغست كونت" لا ارتباط له بالإسلام ولا بابن خلدون، وما يجب الإقرار به ثانياً هو أن أفكار علماء اجتماع الغرب التي تدرس في جامعاتنا-بما فيها الجامعات الإسلامية-لا تنفصل مطلقاً عن التيارات الفكرية والأخلاقية السائدة في بلاد الغرب، وثالث مايجب الإقرار به هو أن الأنشطة الفكرية والنظريات الكبرى لعلماء الاجتماع تمت في أثناء أزمات سياسية واقتصادية كانت المجتمعات الغربية تمر بها، وكان على علماء الاجتماع أن يقدموا لمجتمعاتهم صياغة نظرية تمكنهم من تخطي هذه الأزمات نشأ علم الاجتماع في مناخ وظروف لاشأن لنا بها[3].

[1]-محمد عبد الله الشرقاوي: مدخل نقدي لدراسة الفلسفة، المرجع السابق، ص ص163،164.

[2]-جورج رسيتزر: رواد علم الاجتماع، تر: محمد الجوهري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، (ط1)، 2006، ص42.

[3]-أحمد خضر: اعترافات علماء الاجتماع"عقم النظرية وقصور المنهج في علم الاجتماع"سلسلة المنتدى الإسلامي، القاهرة، (ط1)، 2000، ص43.

دين وكنيسة تدعوا إلى الرهبانية وتمحق الطاقات التي تؤدي إلى المحافظة على النوع، حياة رجال الكنيسة مليئة بالفواحش والمنكرات، استحوذ عليهم الجشع وحب المال، كانت كنيسة أدخلت الكثير من الخرافات على الدين، ومن لم يؤمن بها يطرد من رحمة الرب. منعت الناس من البحث في فهم الكتاب المقدس وتفسيره، ادعت آراء ونظريات جغرافية وتاريخية وطبيعية مليئة بالخرافات جعلتها مقدسة لا تناقش ولا تصحح ولا تجرب، وحينما انفجرت العقلية الأوروبية وحطم العلماء قيود الكنيسة وأثبتوا خطأ هذه النظريات، ثارت عليهم الكنيسة وعاملتهم كملحدين وكزنادقة، وقتلت "برونو"وأحرقت"جاليلو" وغيرهم من الناس والعلماء.

كان منطقياً إذن أن يثور الناس على الدين والكنيسة، وأن يفصلوا بين الدين و الحياة، والدين والعقل، ولكن مالنا نحن ومال هذا كله،الدين والعلم في الإسلام متساندان، والدين والعقل متساندان.

نجد أن هناك ثلاث ثورات كبرى نشأ في ظلها علم الاجتماع،ثورة"اقتصادية"قضت على بقايا نظام اقتصادي قديم، وأهم آثارها سقوط سلطة الدين واهتزاز بناء الأسرة.وثورة"فكرية" أطلق على أصحابها "فلاسفة التنوير"، وهم رجال قدسوا العقل ،وسحقوا الدين والأسرة. أما الثورة الثالثة فهي"الثورة السياسية"ويقصد بها هنا الثورة الفرنسية التي لا تزال إلى اليوم تلقى احتراما وتبجيلاً واحتفالا في عالمنا الإسلامي، استمدت هذه الثورة فكرها من فلسفة التنوير، فزلزلت كيان الأسرة،وضربت سلطة الأب على أولاده بعد البلوغ، وحاربت الرابطة الأبدية للزواج.

كل فكرة من أفكار علم الاجتماع تسود في عالمنا اليوم يمكن ردها إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية تضرب بجذورها في علم الاجتماع، الاتجاه الأول هو الاتجاه"الراديكالي"المتأثر بفلسفة التنوير والاتجاه الثاني هو الاتجاه"اللبيرالي"وهو اتجاه يقبل النظام القائم ولا يرى في الثورة مصدراً للحرية. أما الاتجاه الثالث فهو الاتجاه"المحافظ"يقف على رأسه"أوغست كونت"وهو أول اسم قرع رؤوسنا بشدة.كان أول ماتعلمناه منه هو قانون المراحل الثلاثة[1].

[1]-أحمد خضر: اعترافات علماء الاجتماع"عقم النظرية وقصور المنهج في علم الاجتماع"،المرجع السابق، ص ص44،43.

هذا القانون الذي أطاح بعقل"نجيب محفوظ"فخرج علينا برواياته التي تهاجم الله والدين والأنبياء والرسل وعلماء الدين وشيوخه بصورة رمزية يصعب على المدقق إدراكها. والذي كان يريد قوله لنا"كونت"من هذا القانون هو أن عهد تفسير ما يجري في هذا الكون بالرجوع إلى الله وإلى الدين قد ولى ومضى، إنه عهد يمثل الإنسانية في طفولتها.وإن هذه الإنسانية تقدمت الآن وتخلت عن مثل هذه التفسيرات،و لم تعد تؤمن إلا بالعلم.

كان من أخطر الدروس التي تلقيناها في صبانا"انفصال الدين عن العلم وتعارضهما". وعلمونا أن الرجعية والتخلف أن نفسر الظواهر الطبيعية والاجتماعية تفسيراً دينياً، فلا مجال من دراسة علم الاجتماع لتفسير الأحداث بالرجوع إلى الله والملائكة والروح والجن والشياطين، فهذا كله من الغيبيات ومن الأمور الميتافيزيقية التي لا يعترف بها العلم، لأنها خرافة في الخرافة.

تعلمنا الفلسفة الوضعية التي تحدث عنها هذا المعتوه، والتي استغرق تأليفها 12 عاماً،وكنا نتوهم أنها مجرد تطبيق المبادئ العلمية على دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية. ما كنا نعي أنها فلسفة إلحادية لاتضع مكاناً لله أو للدين في حركة الظواهر، إلا بعد أن كشفها لنا الشيخ "مصطفى صبري"رحمه الله كنا نرى أن الدين والعلم في الإسلام متساندان، وطالما أنهما فلسفة علمية فهي لا تتعارض مع الإسلام. لم نكن وحدنا الذين خدعنا بهذه الفلسفة، سبقنا شيوخ الأزهر الذين كانوا يمتدحونها، بعدها عرفنا أنها أحد أسباب سقوط الخلافة الإسلامية.

عرفنا أن الفلسفة الوضعية تعني إحلال الروح العلمية محل الروح الدينية، وعرفنا أن علم الاجتماع قد حل بهذه الفلسفة مشكلات الأخلاق والدين. بنى هذا المعتوه الدين والأخلاق على الفلسفة الوضعية التي تفصل بين الأخلاق والدين،وأن كونت حاول أن يصطنع أخلاقاً وضعية بعيدة كل البعد عن أية فكرة دينية وخيالية تماماً من أي مصدر إلهي، الله عندنا هو محور الكون ومن الله عرفنا أصل هذا الكون ومصيره، وجاء أساتذتنا ليعلمونا ما تعلموه من هذا المعتوه من أنه يستحيل على العقل البشري أن يصل إلى مفاهيم مطلقة[1].

[1]-أحمد خضر:اعترافات علماء الاجتماع"عقم النظرية وقصور المنهج في علم الاجتماع"،المرجع السابق،ص ص45،46.

وأنه حينما يصل إلى المرحلة الوضعية سيقلع تماماً عن البحث في أصل الكون ومصيره، وعن معرفة العلل الباطنة من الظواهر ليبدأ في الاستخدام العلمي المنظم المعتمد على الملاحظة و البرهنة للكشف عن القوانين التي تحكم حركة الظواهر.

تعلمنا من هذا المعتوه أن المطلق لا وجود له في العالم، وأنه ليس إلا فكرة زائفة لا يقبلها علمه الوضعي المحصور في المعرفة النسبية، فقد كان المطلق الوحيد عنده هو"أن كل شيء نسبي".

تعلمنا من هذا المعتوه أن الدين مر بثلاثة أطوار،بدأ أولاً بالحالة الوثنية، وهي عبادة الطبيعة والشمس والنجوم،ثم مر بمرحلة تعدد الآلهة، ثم انتهى إلى مرحلة التوحيد وعبادة الأصنام والشمس كما تعلمناها من "كونت"هي الصورة الأولى لفجر الدين.

وأن مرحلة تعدد الآلهة كانت مرحلة اضمحلال وتقهقر للفكر الديني، وأن التوحيد هو السبب في ازدياد هذا الاضمحلال والتقهقر في الفكر الديني.

اخترع هذا المعتوه ديناً جديداً أسماه"دين الإنسانية"وهو دين تثليثي كالنصرانية، أقانيمه الموجود الأعظم:وهو الإنسان، والوثن الأعظم:وهو الأرض، والمحيط الأعظم:وهو الفضاء الخارجي المحيط بالأرض.

الوثن الأعظم ضحى بنفسه فعرضها للتقلب والمذلة ليكون منشئاً للموجود الأعظم فنحن مدينون له بالعبادة شكراً، لكن ممثل الكمال الأعلى وهو الإنسان هو الأحق لأن يتخذ معبوداً، والإنسان عند هذا المعتوه هو أفضل من الله، وأجدر بالعبادة،لكونه مستفيداً من محبتنا ومحتاجاً إلى خدمتنا، ولأنه لا يحثنا بالمكافأة على أفعالنا. والمرأة هي أجدر بالعبادة، إنها محل لتحقيق أماني الصداقة والعشق. جعل لها هذا المعتوه أربعة وثمانين عيداً نحتفل بها، وتسعة مراسم تقديس في السنة.

كان هذا الدين الشاذ لهذا الفرنسي المعتوه ثمرة حبة لزوجة السجين، أحب كونت "كلودتيلددي فو"أشعل حبه لها قلبه، وأثر في أفكاره، ولون فلسفته، وانتهى من هذا الحب[1]

إلى القول إن العالم لا يمكن خلاصه وانتشاله إلا بدين جديد يغذي في قلوب الناس محبة غير واهنة ويقويها بتمجيد الإنسانية واتخاذها ديناً جديداً وموضوعاً للعبادة.

[1]-أحمد خضر: اعترافات علماء الاجتماع"عقم النظرية وقصور المنهج في علم الاجتماع"، المرجع السابق، ص ص،47،48.

قال كونت في إحدى رسائله إلى محبوبته "دي فو":{لقد بدأت الوضعية الدينية فعلاً في لقائنا الأول يوم الجمعة16مايو عام1845}.أمضى كونت أيام كهولته في ابتكار نظام معقد من الطقوس والصلوات لهذا الدين الجديد، واقترح تقويماً جديداً استبدل فيه أسماء الآلهة الوثنية وقديسي العصور الوسطى بأبطال الرقي والتقدم الإنساني. وبلغت قمة شذوذ هذا المعتوه حينما عين نفسه البابا الجديد للإنسانية، ودعى المسلمين إلى التخلي عن دينهم ودخول هذا الدين الجديد[1].

[1]-أحمد خضر: اعترافات علماء الاجتماع"عقم النظرية وقصور المنهج في علم الاجتماع"، المرجع السابق، ص ص48،49.

المبحث الثاني:البديل المعرفي

تمهيد: يعد أوغست كونت من بين أهم العلماء الأوائل الذين عالجوا الظاهرة الاجتماعية وجعلوا لها مبادئ وأساليب، لكن أوغست كونت كغيره وقع في جملة من الأخطاء الأمر الذي جعل دراسته تلقى العديد من الانتقادات لأن علمه لم يرتقي إلى المطلقية وكل ما نادى به في بعض ميادينه كان حبر على ورق، الأمر الذي مهد لظهور العديد من الاتجاهات والعلماء ومن بينهم"إميل دور كايم".

أ/إميل دور كايم والدراسة الاجتماعية:

ولد إميل دور كايم عام 1858م في إيبينال في فرنسا، بدأ حياته بتدريس الفلسفة حتى عام 1887م قدم بعدها أول مساق في علم الاجتماع في جامعة "بوردو"، وبهذا يعود له الفضل في تأسيس تخصص علم الاجتماع وعلى المستوى الجامعي، وفي عام 1893م نشر رسالة الدكتوراه تحت عنوان{تقسيم العمل في المجتمع}، وفي عام 1895م ظهر كتابه"قواعد المنهج في علم الاجتماع"، وعُين أستاذ في التربية في جامعة باريس عام 1906م تحول لقبه بعدها إلى أستاذ علم الاجتماع التربوي، وفي عام 1912م نشر كتابه"الأشكال الأولية للحياة الدينية".كان محافظًا في أطروحاته، وتبنى منهجياً الفلسفة الوضعية، توفي عام1937م، بعد أن أسس علم الاجتماع كميدان علمي خاص، وكانت لأفكاره آثارها الواضحة في علم الاجتماع خاصة بعد أن ترجمت أعماله للإنجليزية ولغات أخرى،كان له تأثير كبير على بدايات علم الاجتماع في البلدان العربية خاصة وأن كثير من المختصين العرب في علم الأنثروبولوجيا كانوا قد أتموا دراساتهم في فرنسا.

عاصر"دور كايم"تغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية في المجتمع الغربي، تبدلت بسببها الروابط والعلاقات الاجتماعية،كما تم تحول مركزية السلطة الدينية إلى مركزية زمنية علمانية في إطار قومي، فأصبحت هذه التغيرات إضافة إلى ماأسسه علم الاجتماع ومناهجه، من أهم القضايا التي شغلته ويمكن القول أن اهتماماته قد تركزت حول قضايا وتساؤلات أهمها:[1]

1.لماذا وكيف تتغير المجتمعات؟

[1]-إبراهيم عيسى عثمان: الفكر الاجتماعي والنظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع، دار الشروق للتوزيع والنشر، عمان، الأردن، (ط1)، 2009، ص ص109،110.

2.ماهي علاقة هذه التغيرات بدرجة التضامن والنظام الاجتماعي؟

3.كيف ارتبطت هذه التغيرات بالروابط الاجتماعية وتباينها؟

4.ماهي العوامل التي تساعد على تحقيق التضامن الاجتماعي؟

5.ما الذي يترتب على خلخلة التضامن الاجتماعي؟

هذه أهم التساؤلات التي شغلت"دور كايم"من حيث المضمون، أما توجهاته المنهجية فقد اتفقت مع الفلسفة الوضعية التي عُرف بها كونت، فقد اهتم"دور كايم"بما أسسه علم الاجتماع الوضعي، تتم بناء المعرفة فيه على أساس افتراض واقع اجتماعي له حقيقة مستقلة وخارجية ويمكن ملاحظتها.

ولعل أفضل طريقة يمكن من خلالها تناول أفكار"دور كايم"تتمثل كما فعل"أرون arone" في تناول كتبه الأساسية تتابعاً ليس بالضرورة على أساس تتابعها الزمني، ولكن لغرضنا هنا على أساس مضامينها بدأ المنهج وتعريفاته للمعرفة وعلم الاجتماع، ثم أفكاره عن المجتمع والتغير والتضامن ووظائف البناء والنظم الاجتماعية.

ب/المنهج في كتاب قواعد المنهج في علم الاجتماع:

حرصاً من "دوركايم" على بناء علم اجتماع علمي،كان لابد أن يعرف الواقع الاجتماعي بنا يمكن أن يحقق هذا الغرض، وذلك بافتراض حقيقة موضوعية لها وجود مستقل خارجي يمكن دراسته بملاحظة عناصره وما بينها من علاقات قياساً على مافي العلوم الطبيعة وما تتناول من ظاهرات.

لهذا اختار"دور كايم"مفهوم الوقائع الاجتماعية حيث يشير المفهوم إلى واقع موضوعي له وجوده المستقل، والذي يمكن ملاحظته عن طريق مؤشرات مباشرة وغير مباشرة، يتوصل الباحث إلى حقيقة الواقع الاجتماعي بدراسته كما هو موجود، وليس من خلال التصورات الذاتية والمعاني التي يحملها الناس له، فالوقائع الاجتماعية كالأشياء تدرس كمواضيع لها وجود مستقل[1].

[1]-إبراهيم عيسى عثمان:الفكر الاجتماعي والنظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع، المرجع السابق، ص110.

فالأشياء هي المعطيات الوحيدة التي يمكن ملاحظتها تكتشف حقيقتها بدراستها كأشياء من خلال اكتشاف عناصرها ومابين هذه العناصر من علاقات في دفاعه عما جاء في تعريفه لحقيقة الواقع الاجتماعي، يقول:الافتراض الذي يتضمن أنه يجب التعامل مع الوقائع الاجتماعية كأشياء وهو افتراض منهجي أساس لدينا هو الذي لاقى إشكاليات من المعارضين.وذلك لأننا شبهنا حقيقة الواقع الاجتماعي بحقيقة العالم الخارجي. وقد جاء النقد نتيجة سوء فهم هذا الافتراض، حيث لم تكن الغاية اختزال الأشكال العليا للوجود بأشكال دُنيا، ولكن على عكس هذا بافتراض درجة من الحقيقة للأولى مساوية لما يمنحه الآخرين للثانية.

ولا نقول هنا أن الواقع الاجتماعي مادي، وإنما كالشيء مع اعتبار الاختلاف بين الجانبين،كما أن الوقائع الاجتماعية كظاهرات تعامل كأشياء لها وجود مستقل خارجي فإن البناءات الاجتماعية والنظم يكتسب خاصية الضبط والتوجيه كما هو الحال في النظام الديني والتعليمي والأعراف والقانون، وحتى تتمثل الوقائع في ظاهرات لابد أن تتوفر فيها خصائص هي:

1/ أن تكون جماعية عامة، فالحدث أو الفعل الفردي الذي لا يتحول إلى نمط جماعي منتشر لا يعد ظاهرة، فالظاهرة الاجتماعية تشير في خصائصها إلى نمط جماعي تأخذ به على الأقل مجموعة كبيرة.

2/ الضبط والتوجيه،الوضعيون عامة، وأغلب الوظيفيون ينظرون إلى علاقة الاجتماعي بالفرد، من منطق تأثير البناءات والنظم في الأفراد، يكتسب الفرد معايير وقيم الجماعة إضافة إلى توقعات الجماعة،وما يمكن أن يوقع من عقاب أو ثواب، يصبح ما هو اجتماعي ثقافي من عوامل الضبط و توجيه سلوك، والفرد هنا منفعل بما هو اجتماعي يتشكل في إطاره.

3/ خارجية ومستقلة: أي أن للظاهرات الاجتماعية وجود مستقل عن تصورات الأفراد وجود هناك يمكن ملاحظته بما هو عليه كموضوع.هذا ويعتقد "دور كايم" أن الظاهرة الاجتماعية لا تفسر إلا بظاهرات اجتماعية أخرى، لقد اتبع "دور كايم" في كل كتاباته أسلوباً يتضمن تعريف الظاهرة، ثم نقد ودحض كل التفسيرات التي حاولت تفسيرها بمتغيرات نفسية أو جغرافية [1].

[1]-إبراهيم عيسى عثمان: الفكر الاجتماعي والنظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع، المرجع السابق، ص ص110،111.

ثم العمل على تفسيرها اجتماعيا، فالتباين في نسب الانتحار لا يفسر بالخلل النفسي أو العقلي، أو التباين في المناخ، وإنما بالتباين في درجة التضامن وهكذا، وهكذا ألا يجوز تفسير زيادة الإنتاج من منظور علم الاجتماع بالدوافع والحوافز[1].

ج/اللامعيارية وفقدان التكامل الاجتماعي:

إن تحليل نظرية "دور كايم" في اللامعيارية وعلاقتها بالانحراف تحليلاً نقدياً ليس بالأمر الهين لأن منطق هذه النظرية لم يحدد نحواً واضح في جزء معين من مؤلفات هذا العالم، علاوة على أنه لم يخصص كتاباً أو جزءا من كتاب أو فصلا لمعالجة هذه الفكرة معالجة متكاملة،كما أن تحليله للمعيارية تميز بالانفتاح الفكري على ميادين متعددة لعلم الاجتماع كالاقتصاد والأسرة والعمل، وحتى استخدامه للمصطلح لم يحدد بوضوح.

وليس يدل على ذلك من أن "دور كايم" لم يقبل على استعمال مصطلح "اللامعيارية" كاسم بقدر استخدامه له كصفة فيقول: الانتحار اللامعياري، وتقسيم العمل اللامعياري ومع ذلك فقد كانت "اللامعيارية" تمثل فكرة محورية في نظرية "دور كايم" السوسيولوجية،كما أنه استخدمها كأداة نظرية لتحليل الانحراف ولفهم السلوك الإنساني بوجه عام، مما يحتم القيام"باستخلاص" مدلول لهذه الفكرة بأبعادها المختلفة من مُؤلفين شهيرين وهما: الانتحار، وتقسيم العمل الاجتماعي.

وقد تبين أن "اللامعيارية" في نظرية "دور كايم" تشير إلى حالة اضطراب تصيب النظام أو حالة من انعدام الانتظام dérégulation أو التسيب تنجم عن أزمات اقتصادية أو كوارث أسرية، في نفس الوقت الذي تؤدي فيه إلى الانحراف، أو قد تشير اللامعيارية إلى حالة تكون العلاقات فيها بين الأعضاء في عملية تقسيم العمل غير منظمة أو متسقة في اتصالها مع بعضها البعض، وفي استمرارها واعتمادها المتبادل، ومن ثم تكشف هذه الحالة عن مظاهر إنحرافية، أي تكون مظهر للانحراف، أي أن تعريف اللامعيارية على هذا النحو يحتاج إلى عملية تحليل مفصل لها [2]

[1]- إبراهيم عيسى عثمان: الفكر الاجتماعي والنظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع، المرجع السابق، ص ص 111،112.

[2]-سامية محمد جابر: الفكر الاجتماعي"نشأته واتجاهاته وقضاياه"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2008، ص263.

من حيث أنها تشير إلى "متغير معتمد"أو نتيجة لظروف مجتمعية أو جماعية معينة في نفس الوقت الذي تؤدي فيه إلى الانحراف، فتكون "متغير مستقل"ومن أجل إجراء هذا النوع من التحليل تتعين الإشارة أولا إلى مجالات اللامعيارية الثلاث وهي: المجال الاقتصادي بوجه عام، ومجال الأسرة والحياة الزوجية،وأخيراً مجال تقسيم العمل، وانطلاقا من هذه المجالات تتحدد أشكال اللامعيارية ومضامينها التي سوف تفسر وتحلل بواسطة الإشارة إلى أمثلتها الإمبريقية أو حالاتها الواقعية ونتائجها وصلتها بالانحراف بمعناه الضيق أو الواسع. لقد استفاد "إميل دور كايم" من أفكار سابقيه لكنه أعطى لعلم الاجتماع صبغة علمية مغايرة[1].

تمهيد:إن دراسة الظاهرة الاجتماعية قديمة وليست حديثة كما هو مُروج لها والدليل على ذلك دراسة "ابن خلدون"للظواهر الاجتماعية أو ماأسماه "علم العمران البشري"بحيث قام بدراسة أحوال الشعوب من خلال إعطاء لمحة عن كيفية وطريقة عيشهم بحيث أنه الفيلسوف والعالم الوحيد الذي يمكن أن ينسب إليه أولوية دراسة الظواهر الاجتماعية، بحيث سبق "أوغست كونت"بخمسة عقود وهذه الفترة كافية لتبين أسبقية "ابن خلدون" في التعامل مع الظواهر الاجتماعية الأمر الذي جعل منا نقوم بمفارقة أو مقارنة بين"ابن خلدون"العالم العربي و"أوغست كونت"العالم الغربي.

أ/ابن خلدون علم العمران البشري:

هو عبد الرحمان أبو زيد ولي الدين ابن خلدون، فاسمه عبد الرحمان وكنيته أبو زيد ولقبه ولي الدين وشهرته"ابن خلدون"، لقب بولي الدين بعد توليه وظيفة القضاء في مصر.

وبدأت مراحل حياته من النشأة والتلمذة بداية من[732-751ه]،[1332-1376م]

مرحلة الوظائف الديوانية والسياسية في المغرب والأندلس[751-776ه]،[1351-1374م]

مرحلة التفرغ للتأليف[776-784ه]،[1372-1374] تولى منصب قاضي قضاة المالكية.

وظهرت آثار عبقرية "ابن خلدون" ونبوغه في مجالات كثيرة نجملها في المنشئ الأول بعلم الاجتماع ومجلده علم التاريخ وفي بحوث التربية والتعليم وعلم النفس التربوي والتعليمي[2].

[1]- سامية محمد جابر: الفكر الاجتماعي"نشأته واتجاهاته وقضاياه"، المرجع السابق، ص264.

[2]-درية السيد حافظ: علم الاجتماع بين الواقع والنظرية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، (د،ط)، 2012، ص65.

راسخ القدم في علوم الحديث والفقه المالكي، وتؤكد الكتابات التي وردت بشأن العلامة "ابن خلدون"بما ورد في "كتاب العبر"الذي وضعه العلامة العربي،والذي يطلق عليه مقدمة ابن خلدون من تسميات لعدد ستة بحوث رئيسية، سميت أبواباً بعد ذلك جميعها تدرس ظواهر الاجتماع الإنساني.

أولاً:العمران البشري ويشتمل على أن الاجتماع الإنساني ضروري ويدخل في ذلك بحوث الجغرافيا وأثر البيئة الجغرافية في ألوان البشر وأخلاقهم وطرق معاشهم، ويدخل أيضا في الوحي والرؤيا وحقيقة النبوة.

ثانياً:في العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل، فيدرس الشعوب البدوية ونشأتها وشؤونها الاجتماعية وأصول حياة المدينة، ونظام الحكم والسياسة لهذه الشعوب ولغيرها.

ثالثاً:في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية، ويعرض في هذه الدراسة لجميع نظم الحكم وشؤون السياسة.

رابعاً:في البلدان والأمصار ووسائل العمران، ويتعرض هنا لنشأة المدن والأمصار ومواطن التجمع الإنساني وما تتميز به المدن عن غيرها من مختلف الوجوه العمرانية والاجتماعية والاقتصادية واللغوية

خامساً:في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الأحوال ويشتمل مختلف فروع العلوم والفنون والآداب ونظم التربية والتعليم.

ويعالج "ابن خلدون"في كتاباته موضوع الظاهرة الاجتماعية وهي ذلك المصطلح الذي أطلقه "دور كايم"، بعد ذلك وضع له قواعد وخصائص وشروط وذلك في كتابه"قواعد المنهج في علم الاجتماع"ولكن أسماه"ابن خلدون"واقعات العمران البشري، أو أحوال الاجتماع الإنساني، واكتفى"ابن خلدون" بشرح ذلك من خلال طبيعة التاريخ لهذا العمران وتدرجها من التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التقلبات لطبائع البشر بعضهم على بعض، وما ينتحله البشر من أعمال في سبيل معاشهم من أجل الكسب للحياة وما ينشأ من ذلك كله من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر من أعمال في سبيل معاشهم من أجل الكسب للحياة[1].

[1]-درية السيد حافظ: علم الاجتماع بين الواقع والنظرية، المرجع السابق، ص ص66،65.

وقد تعرض "ابن خلدون" أيضا لأنواع الحرف والأعمال والعلوم والصنائع، وهنا وبلغة العصر فقد بحث "ابن خلدون"في ميادين العمل والصناعة، وبدأ بالبحث في الأنشطة الاقتصادية وبالتالي فالظواهر الاجتماعية كمنظومة مجتمعية متعددة الأشكال والوظائف، بداية من النظم العائلية والأسرية ونظم الزواج والقرابة والميراث ثم الانتقال إلى النظم السياسية وما يتعلق بشؤون الحكم والدولة[1].

ب/ عن علم الاجتماع: قام"ابن خلدون" بدراسة مجتمع بوضع جملة من المبادئ والأسس:

1/ يعد "ابن خلدون" أول من نادى بضرورة إنشاء علم العمران البشري وهذا العمران يعني لديه الاجتماع الإنساني وظاهرته، وهو يصوغ موضوع هذا العلم من خلال قوله أن الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقوله "الإنسان مدني بالطبع أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحه وهو معنى العمران" وأولى النقاط التي تبرز هنا هي النظر للمجتمع نظرة شمولية مع التركيز على ضرورته، وماهو ضروري فيه، فهو لم يدرس الاجتماع الإنساني إلا قصد بيان ما يلحقه.

2/ إذا أردنا توضيح السبب الذي من أجله رأى الاجتماع الإنساني ضروري نجد "ابن خلدون" يقول "لأن قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحقيق حاجته"ومن ثم فتحصيل الحاجة يعد حجر الزاوية في الاجتماع الإنساني، وضرورته وهو يسير في تفسير خطوة أخرى فيقول:"الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل في معاشه، وإنهم الناس متعاونون جميعا في عمرانهم على ذلك"، ومعنى هذا أن الحاجة والعمل مقولتان أساسيتان للوجود الإنساني، وبدونهما يستحيل وجود المجتمع البشري.

3/ تتضح النظرة الخلدونية للمجتمع وظاهرته من توجهه العام الذي أكد من خلاله في أكثر من موضع من مقدمته أن العمران البشري حقيقة متعلقة بالطبيعة.

4/ يعد تغير العمران حقيقة أساسية في نظر"ابن خلدون"إلى العمران البشري فأحوال العالم والأمم وعاداتها ونحلها لا تدوم على وتيرة واحدة إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة[2].

[1]-درية السيد حافظ: علم الاجتماع بين الواقع والنظرية، المرجع السابق، ص67.

[2]-عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، المرجع السابق، ص71.

وانتقال من حال إلى حال، وجرى أن السبب الشائع في تبدل الأحوال والعوائد هو أن عوائد كل وجرى أن السبب الشائع في تبدل الأحوال والفوائد هو أن عوائد كل تابعة لفوائد سلطانه، كما يقال في الأمثلة العامية"الناس على دين ملوكهم".

5/ يكاد يركز في فهمه وتفسيره لتطور العمران وتغيره على عدة عوامل أساسية ترتبط بالعصبة التي تلعب دوراً أساسياً في بناء العمران واستمراره، وهذا يقرر "أن الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج للمتكون، والمزاج في المتكون لا يصلح إذا تكافأت العناصر فلا بد من غلب إحداهما وإلا لم يتم التكوين، فكأن الصراع القائم على التناقض أساس في تكوين العمران البشري وإستمراريته، كما تلعب السلطة السياسة المتمثلة في "الحاكم" دورا في الحفاظ على العمران، وفي تغييره كما هو مشار إليه في الفقرة السابقة مباشرة.

و أما من أبرز عناصر وملامح منهجه فيمكن إيجازها فيما يلي:

أ/ يؤكد "ابن خلدون"أن على الباحث ألا يقبل شيئا على أنه حق إلا بعد أن يتأكد بوضوح أنه كذلك، أي يجب ألا يتأثر بآراء مسبقة أو يتخذ من الأساطير وآراء الآخرين غير المؤكدة أساسا لدراسته، ولهذا كان "ابن خلدون" يقرأ لفكري عصره وأسلافه بقصد المحاورة والكشف، يستمد ويشك وينتقد ويصحح وينتقي ويقارن ثم يأتي بالاستنتاج، وهو بصدد هذا يقول في مقدمته"فلا تثقن بما يلقى إليك من ذلك وتأمل الأخبار وإعراضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه".

ب/ أكد ضرورة الأخذ بمنهج المقارنة بين ماضي الظاهرة وحاضرها، ودراسة تطور الظاهرات والنظم العمرانية دراسة تاريخية، ذلك لأن العمران متطور متبدل.

ج/ يؤكد أهمية وصول علم العمران إلى صوغ القوانين التي تتحكم في العمران لأن الوصول إلى هذه القوانين وظيفة من وظائف العلم، وفي هذا المعنى يرى أن الظاهرات العمرانية لا تشذ عن بقية ظاهرات الكون، وأنها محكومة في مختلف نواحيها بقوانين طبيعية تشبه القوانين التي تحكم ما عداها[1].

[1]- عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، المرجع السابق، ص ص72،73.

من ظاهرات الكون، كظاهرات العدد والفلك والطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات.

دا ركز على أهمية الملاحظة التي تأتي علميتها من مسلكيها[1].

تمهيد:إن "ابن خلدون" هو الفيلسوف الأول الذي طرح فكرة دراسة الظواهر الاجتماعية، ولذلك سوف نقوم بمفارقة بينه وبين "أوغست كونت".

والآن من أجل تقديم الدليل الموضوعي على أسبقية وعلمية "ابن خلدون" لعلم الاجتماع، سوف نعقد مقارنة بين "ابن خلدون"و"أوغست كونت" حتى نستطيع أن نقف على "ابن خلدون" بالعلم الجديد. فمن حيث أسباب النشأة قدمنا لرأي "ابن خلدون" في ضرورة إنشاء علم جديد لدراسة الظواهر الاجتماعية، ولاشك أن لكل من "ابن خلدون"و"أوغست كونت" نصيب من الإسهام في مولد العلم الجديد، ولاشك أن كلاهما في هذا الصدد أسباب ودوافع لأشياء هذا العلم الخاص بدراسة الظواهر الاجتماعية، فابن خلدون كان يهدف أساسا إلى تخليص البحوث التاريخية من الأخبار الكاذبة، ولهذا شرع في الكشف عن أداة منهجية بفضلها يمكن للباحث التفرقة بين الصادق والكاذب فيما يرى من أحداث متعلقة لواقعات العمران أو شؤون الاجتماع الإنساني.

أما "أوغست كونت" فقد دعاه إلى العلم الجديد حرصه أولا إصلاح المجتمع الفرنسي وتحقيق الانسجام العقلي والأخلاقي، كذلك كان "كونت"يعتبر علم الاجتماع بداية ونهاية لفلسفته الجديدة أو ما أسماه "دين" الإنسانية. هذا أيضا إلى أن "كونت"كان حريصا على الكشف عن القوانين الاجتماعية التي تشبه قوانين الظواهر الأخرى.

إن كلا من "ابن خلدون"و"كونت"رأى ضرورة إنشاء هذا العلم الجديد لدراسة الظواهر بحيث يتبع المنهج الوضعي الذي يرمي إلى الكشف على هذه الظواهر وما تخضع له من قوانين، وبالرغم من الاتفاق بينهما في هذا إلا أن الأسباب التي دعت "ابن خلدون" إلى إنشاء هذا العلم ليست هي نفس الأسباب التي دعت "كونت"،"فابن خلدون" كان متأثر بما رآه من تخبط المؤرخين[2].

[1]-عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، المرجع السابق، ص73.

[2]- محمد أحمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص ص194،195.

وعدم تمييزهم بين الصحيح والكاذب من أخبار التاريخ المتصلة بشؤون الاجتماع ومن ثم حرص على إنشاء أداة جديدة تعصمهم من هذه الأخطاء أما"كونت"فإن ما رآه من اضطراب في التفكير والأخلاق عن طريق علم وضعي جديد يحقق الوحدة المنهجية الفكرية.

ويذهب البعض إلى أن الأسباب التي جعلت "بابن خلدون" ينادي بهذا العلم الجديد أسباب واقعية يشهد بها كتب المؤرخين.

فعلم التاريخ في عصره كان مملوء بالأخطاء التي تعبر عن الجهل بالقوانين التي تخضع لها ظواهر الاجتماع بينما يرى البعض أن الأسباب التي دعت "كونت" إلى هذه الدراسة كانت أسباب خيالية استمدها من فلسفته الخاصة بتطور التفكير الإنساني، أي أن "كونت" استمد شرعية علم الاجتماع من قياداته الخاصة وليست من الواقع ولا من الملاحظة الوضعية لحقائق الأمور، فليس صحيح كما أشرنا أن جميع الناس في عصره كانوا يفهمون ظواهر الطبيعة فهما وضعيا، لأن هذا المنهج الوضعي كان حكراً على طبقة معينة من المؤرخين. كذلك لم يكن جميع الناس في عهده يفهمون ظواهر الاجتماع فهما غير وضعي، فكثير من فهم هذه الظواهر قد حققت تقدم ملحوظ.

الأمر الثاني الذي يشير إلى الاختلاف بين كل منهما: أن "ابن خلدون" كان صادقا في أنه لم يسبقه أحد من قبل إلى مثل هذا العلم، أما "كونت"فقد قيل له أنه أول من قام بهذا الاكتشاف الجديد مع أنه قد سبقه إليه "ابن خلدون" من المفكرين العرب وكتليه و"كوندرسيه"،و"مونتيسكيو" من مفكري الغرب.

أما عن موضوع العلم الجديد:

فموضوع علم الاجتماع عند كل من "ابن خلدون"و"كونت" هو دراسة الظواهر الاجتماعية، ويستخدم "ابن خلدون" لفظة "واقعات العمران" لتحديد ظواهر العلم بينما استخدم "كونت" مصطلح "ظاهرات الاجتماع" لتعني نفس الشيء، والملاحظ أن كل منها يحدد تحديدا قاطعا معنى الظواهر الاجتماعية التي هي موضوع علم الاجتماع [1].

[1]-محمد أحمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص ص195،196.

وإنما اكتفى "بابن خلدون" بأن يشير في مقدمته "أنه لما كانت طبيعة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم عن بعض، وما ينشأ من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر مايحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال، كذلك اكتفى "كونت" بأن جعل موضوع علم الاجتماع شامل لكل الأمور الإنسانية ومن ثم أخذ يدرس تطور التاريخ البشري حتى توصل إلى ما أسماه قانون الحالات الثلاثة الذي يفسر تطور التفكير الإنساني من المرحلة اللاهوتية إلى الميتافيزيقية إلى الوضعية.

أما عن أغراض الدراسة يتفق كل من "ابن خلدون" و "أوغست كونت" على أن الهدف من العلم الجديد هو الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية والقوانين التي تخضع لها.

إن كل من"ابن خلدون"و"كونت" يستخدم علم اجتماع الأهداف الأخرى "فابن خلدون" -كما بينا- كان يرمي إلى أن الدراسة في نهاية الأمر وسيلة لتصحيح الأخبار التاريخية بينما نجد "كونت" كان يهدف إلى أن يكون علم الاجتماع وسيلة للإصلاح الاجتماعي وذلك عن طريق إصلاح الفكر الذي يؤدي بدوره إلى إصلاح الأخلاق.

أما عن منهج علم الاجتماع: يتفق كل من "ابن خلدون"و"كونت"في أن منهج الدراسة في علم الاجتماع ينبغي أن يكون فهما وضعيا قوامه الاستقراء والملاحظة دون أن يكون الباحث متأثر بأي أفكار مسبقة ولكن هل حقق كل من "ابن خلدون"و"كونت" هذه الموضوعية ؟.

الحق أن كل منهما قد انحرف عن هذا المنهج أثناء دراسته للظواهر الاجتماعية، "فابن خلدون" قد اعترف في هذا المنهج"اعترافا شكليا يمكن علاجه"بينما نجد أن "كونت" قد انحرف عنه انحرافا كبيرا لا سبيل إلى إصلاحه إلا بهدم جميع ما بناه وأنشأه على أسس أخرى.

ومن ميادين الدراسة في علم الاجتماع: الحق أن هناك اختلافا كبيرا بين"ابن خلدون" و"كونت"[1].

[1]- محمد أحمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، صص195،196.

من ناحية أقسام الدراسة في علم الاجتماع "فكونت" قد قسم علم الاجتماع إلى قسمين رئيسيين سمي الأول الديناميكا والثاني الإستاتيكا الاجتماعية فالقسم الأول الديناميكا الاجتماعية هو الذي يختص بدراسة المجتمع الإنساني في جملته ومن ناحية تطوره وهذا يتضمن أمران: الأول أن علم الاجتماع الديناميكي يدرس الاجتماع الإنساني في جملته أي أنه لايدرس الظواهر الاجتماعية منفردة ولكن ينظر إلى النظم الاجتماعية مثل النظم السياسية، الاقتصادية، الخلقية، الدينية، التربوية....الخ في عمومها وجملتها، أما الأمر الثاني فهو أن علم الاجتماع الديناميكي يدرس الاجتماع الإنساني في تطوره، أي غرضه هو الكشف عن القوانين التي يسير عليها المجتمع الإنساني من مرحلة إلى مرحلة، أما القسم الثاني من علم الاجتماع فهو الذي يختص بدراسة الإستاتيكا الاجتماعية التي تشمل دراسة الاجتماع الإنساني في تفاصيله واستقراره، أيضا هنا نجد خاصيتين:

الخاصية الأولى: أن علم الاجتماع الإستاتيكي يهتم أصلا بدراسة الاجتماع الإنساني في جملته، كما في علم الاجتماع الديناميكي.

الخاصية الثانية: فهو أن علم الاجتماع الإستاتيكي يدرس تكامل النظم الاجتماعية من حيث استقرارها لا من حيث تطورها.

والهدف من علم الاجتماع الإستاتيكي هو شرح الأجزاء والعناصر المكونة للظواهر الاجتماعية والوظائف التي تقوم بها أو علاقة هذه العناصر والوظائف بعضها ببعض.

أما "ابن خلدون" فقد قسم موضوع علم الاجتماع، أو علم العمران كما يطلق عليه إلى عدة أقسام، يضم كل قسم منها طائفة من الظواهر الاجتماعية المتجانسة في طبيعتها، ولقد عنى "ابن خلدون"في دراسته لكل طائفة من هذه الطوائف بأن يخرج من الدراسات التطورية والدراسات التشريحية، بمعنى آخر "ابن خلدون" اهتم بدراسة كل طائفة من الظواهر الاجتماعية بالمزج بين الناحية الديناميكية والإستاتيكية فكان يدرس الظاهرة مفسراً أجزائها وعناصرها ووظائفها ويدرس في نفس الوقت تطورها والقوانين التي تخضع لها في هذا التطور[1].

[1]- محمد أحمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص ص197،198.

المبحث الثالث: آفاق البحث

بالرغم من الانتقادات التي وجهت إلى أفكار "كونت"، إلا أنها فتحت آفاقاً جديدة في ميدان الفكر واتجاهات جديدة في مناهج البحث:

1/ فلقد أكد "كونت" أنه من أجل تقديم حل للاتفاق الأخلاقي يجب أن يتم اتفاق العقول على المشاكل الفطرية التي تتعلق بعلاقات الأفراد بعضهم ببعض وعلاقتهم بالإنسانية، وهذا يسمح لوضع تربية عامة مشتركة قائمة على مبادئ وتعقيدات قوية.

2/ من الناحية السياسية وصل"كونت" إلى حد الفصل بين القوانين الروحية "الدينية"، الزمنية "التنفيذية"، ويجب أن يهدف النظام القائم"المجتمع الفرنسي" ويحل محله نظام ثابت يحقق فكرتي النظام والتقدم.

3/ يرى "كونت" أن جميع النظم الاجتماعية من سياسية واقتصادية وأخلاقية تعتمد على الوحدة العقلية القائمة وبالذات على أساس الفلسفة، أكثر من هذا فإن "كونت" يرى هذه الظواهر الاجتماعية يقوم بينها علاقات وظيفية مترابطة، بمعنى أن أي تغير يطرأ على إحدى هذه الظواهر يسبب تغيرا مماثلا في المجموعات الأخرى، ولقد أسهم "كونت" في هذا بوضع أساس هام من أسس النظرية الاجتماعية فيما بعد على يد المدرسة الاجتماعية الوظيفية في إنجلترا.

4/ لقد كان "كونت" أول من طبق منهج البحث الوضعي على الظواهر الاجتماعية بمعنى أنه نبه إلى ضرورة الأخذ بالمبدأ التجريبي في البحث الاجتماعي، مؤيدا طريقة الملاحظة والتجربة.

5/ مهد "كونت" الطريقة أمام التعريف الحديث لعلم الاجتماع وأقسامه الأساسية كذلك أكد على ضرورة ربط علم الاجتماع بالنشاط العملي وإصلاح المجتمع وتحسين ظروفه[1].

وبالرغم من أن الأفكار التي اعتنقها "كونت" كانت أفكار قديمة أو أنها لم تقدم نظرية اجتماعية متكاملة، إلا أن جهد "كونت" مقدر حتى وإن لم تتجاوز محصلته النهائية مجرد تجميع تلك الآراء والأفكار وإعادة ترتيبها، لأن ذلك التجميع والترتيب قد أدى بغير شك إلى نمو المعرفة الاجتماعية[2].

---

[1]- محمد أحمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، المرجع السابق، ص ص 190،191.

[2]-صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع السابق، ص166.

وخصوصا ما تعلق منها بالبناء الاجتماعي والتغير سواء في البناء أو في الثقافة والجماعات الاجتماعية والعلاقات الشخصية.

مازالت كتابات وأفكار "لكونت"على أصالتها حتى اليوم بل إن الكثير منها يعتبر أفكار عصرية، كتصوره عن الثقافة باعتبارها الحصيلة الكلية لإنجازات العقول الإنسانية المتفاعلة، إلى جانب إدراكه السليم للتأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع، كما أن "كونت" قد تعرض في كتاباته للكثير من المسائل والموضوعات التي تعد اليوم أساسا للإتجهات الحديثة في علم الاجتماع المعاصر[1].

كما يمكننا القول أن فلسفة "كونت" قد كانت ترمي إلى غرضين أساسيين:

الأول: اكتشاف الحقائق الأساسية لتحقيق الوحدة بين العقول.

الثاني: وضع القواعد العلمية الصحيحة لعلم الاجتماع على ضوء هذه الحقائق على أن يكون الغرض من هذا العلم الوصول إلى قواعد خلقية وسياسية ثابتة ونهائية تحقق سعادة الإنسانية.

عندما اقتنع"كونت"بأن التنظيم العقلي هو أساس تنظيم المجتمع أخذ يبحث عن مجموعة من المبادئ التي تتفق بصددها جميع العقول، والتوصل في تتبعه لتطور منهج التفكير الإنساني إلى قانونه المشهور باسم"قانون الحالات الثلاث"، وطريقة التفكير الأولى أي"اللاهوتية"هي نقطة بدء للذكاء الإنساني، والثالثة "أي الوضعية"هي حالته النهائية الثابتة، أما الثانية"أي الميتافيزيقية" فإنها فقط مرحلة انتقال بينهما[2].

لقد اعتقد "كونت" أن تأخر الإنسان في التوصل إلى المعرفة العلمية-الموضوعية أمر طبيعي، لأن الفكر الإنساني مر في عملية تطوره على مراحل ثلاثة، يرى "كونت"أن الإنسان نفسه يمر بها في وعيه وتفكيره،فهو في طفولته يعيش الحالة اللاهوتية، وفي شبابه يمر بالحالة الميتافيزيقية، أما في رجولته ونضجه فإنه يعيش الحالة الوضعية،كما نجد أنه برأي "كونت"يجب على العقول التشبع بفلسفة[3]

---

[1]-صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع في عالم متغير، المرجع السابق، ص166.

[2]-يحي مرسي عيد بدر: علم الاجتماع"مقدمة في سوسيولوجيا المجتمع"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، (ط1)، 2008، ص ص70،69.

[3]-نبيل عبد الحميد عبد الجبار: تاريخ الفكر الاجتماعي، دار دجلة ناشرون وموزعون، الأردن، (ط1) ، 2007، ص ص164،165.

وضعية عامة تقوم على أساس المنهج الوضعي وحده.

والقضاء على ما تبقى من مظاهر التفكير الميتافيزيقي ويقتضي ذلك التعامل مع الظواهر الاجتماعية بنفس طريقة التعامل مع الظواهر الطبيعية، إذ بذلك فقط يمكن أن يتوحد المنهج ويغدو عاما كليا. وإن التعامل مع الظواهر الاجتماعية وفق هذا المنهج يقتضي اعتبارها خاضعة لقوانين محددة ضرورية، وليس للأهواء أو المصادفات،كما يقتضي أن يوجه الباحثون جهودهم نحو الكشف عن تلك القوانين، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بقيام "علم"جديد مهمته ومجاله دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية وضعية تقوم على أساس الوصف والتحليل والمقارنة[1].

وبذلك نكون قد عرضنا بعضا من آراء "كونت" التي تبدو على درجة كبيرة من الأهمية في تطور علم الاجتماع، وهي نزعته المحافظة، ونزعته الإصلاحية، ونزعته العلمية، ونظرته التطورية للعالم.

وهناك جوانب أخرى من أعمال "كونت" تستحق الذكر لأنها لعبت دورا هاما في تطور علم الاجتماع، فعلى سبيل المثال لا يركز علم الاجتماع عنده على الفرد، ولكنه يتخذ من الكيانات الكبرى-كالأسرة-وحدة أساسية للتحليل. كما اهتم بالنظر إلى كل من البناء الاجتماعي والتغير الاجتماعي في نفس الوقت[2].

رأى "كونت" أن ثمة وجود عدد من القوانين الطبيعية اللامرئية أو الخفية التي تنظم العالم الخارجي، وتقف هذه القوانين وراء تطور ونمو العقل أو المعرفة الإنسانية، أو القيم الاجتماعية السائدة، كما تلعب هذه القوانين أدوار إيجابية في تطور العلوم الطبيعية ومناهجها ونظرياتها والقوانين التي تتوصل إليها لأنها تعتمد على الموضوعية والواقعية. كما نجد أن "كونت" قد حلل طبيعة عملية التغير في المجتمع الخارجي بأنها عملية حتمية ويمكن إدراكها بواسطة مكونات المعرفة البشرية سواء كانت عن طريق المعرفة العقلية أو المعرفة الحسية التي تعتمد على الملاحظة والتجربة

[1]- نبيل عبد الحميد عبد الجبار: تاريخ الفكر الاجتماعي، المرجع السابق، ص166.

[2]- جورج رسيتزر: رواد علم الاجتماع، تر: محمد الجوهري، المرجع السابق، ص41.

والمقارنة، وأكد[1] على أهمية المعرفة الحسية، وهذا ما جعله يحدد المراحل التي مر بها العقل والمجتمع الإنساني، وهي المرحلة اللاهوتية أو الغيبية التي ترجع كل شيء إلى القوى الخارقة، ثم المرحلة الميتافيزيقية وهي مرحلة

توسيطية أو انتقالية وتتميز بالفكر المجرد أو البحث عن العلل والأسباب المجردة، وأخيرا المرحلة الوضعية وهي مرحلة العلم الحديث التي تعتمد كلية على البحث عن القوانين التي تحكم الظواهر، والتي تسمح عموما باستخدام المنهج الوضعي. وقد ركز "كونت" على أهمية علم الاجتماع باعتباره العلم الاجتماعي الجديد الذي يسعى لفهم واكتشاف القوانين الاجتماعية، على غرار القوانين الطبيعية التي تحكم العالم الطبيعي الخارجي، فمهمة علم الاجتماع وقوانينه الاجتماعية تعطي للإنسان فرصة كبيرة لدراسة وفهم الظواهر الاجتماعية كما يساهم هذا العلم أيضا لدراسة وفهم القوانين الطبيعية التي تُفهم وتدير العالم الاجتماعي، الذي يعيش في العالم الطبيعي ككل.

حاول "كونت" أن يبرهن على الدور الوظيفي الذي يمكن أن يقوم به علم الاجتماع في دراسة وفهم كل من القوانين الطبيعية والاجتماعية في نفس الوقت، أي فهم العالم الخارجي الذي يحيط بالإنسان سواء كان هذا العالم طبيعي أو اجتماعي، ومن ثمة فإن دور علم الاجتماع يكمن في سعيه لوضع نظام علمي وأخلاقي أيضا ولذا يعتبر هذا العلم علما متكاملا لاعتماده على المنهج الوضعي من ناحية، وسعيه للمساهمة في تطور النظام الاجتماعي والطبيعي بصورة أخلاقية من ناحية أخرى.

رأى "كونت" أن عملية التطور التي تحدث على جميع جوانب المعرفة البشرية، ما هي إلا عملية اجتماعية بصورة عامة، لأن طبيعة هذه المعرفة لا تحدث أو يحصل عليها الفرد إلا من خلال البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها في نفس الوقت، أن اكتمال الموقف البشري، وتطوره مرتبط

[1]-عبد الله محمد عبد الرحمان: النظرية في علم الاجتماع"النظرية الكلاسيكية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2006، ص130.

بتطور المجتمع ونمط المعرفة والتفكير والبحث عن الحقيقة الواقعية، والتي تعزز بدورها تطور العقل الإنساني الذي يعكس كلية نوعية المجتمع أو الحياة الاجتماعية والبيئة التي يعيش ويتطور فيها[1]

وهذا ما يعتبر أحد أهداف علم الاجتماع ودراسته لكل من تطور العقل البشري والمجتمعات الإنسانية.

حدد "كونت" أيضا ماهية وغاية علم الاجتماع، من خلال الدور الذي يقوم به هذا العلم في دراسة مكونات النسق الاجتماعي الذي يتكون من جزئين رئيسيين هما: الإستاتيكا الاجتماعية. والديناميكا الاجتماعية حيث يركز الجزء الأول على دراسة الطبيعة الاجتماعية والإنسانية وقوانين الوجود الإنساني للإنسان، أما الجزء الثاني الديناميكا الاجتماعية فتهتم بمعالجة قوانين التغير الاجتماعي التي تعتبر عنصرا أو مجالا رئيسيا من مجالات علم الاجتماع، لأن العلم يجب أن يهتم بدراسة العوامل والأسباب التي تؤدي إلى التغير والنتائج والظواهر المصاحبة لهذه العملية وهذا ما يميز علم الاجتماع عن غيره من العلوم الاجتماعية الأخرى.

فسر "كونت" طبيعة النسق الاجتماعي ومكوناته الأساسية والذي يشمل ثلاث أنماط كبرى من الغرائز، وهي أولا الغرائز المحافظة على النوع وتشمل بدورها "الغرائز الجنسية والحاجات المادية"، وثانيا غرائز "تحسين الأوضاع" وتشمل كل من "النواحي العسكرية والصناعية"، وثالثا وأخيرا الغرائز الاجتماعية وتتضمن كل عمليات التضامن والاحترام والحب الشامل وهذا النوع الأخير يمثل مكانة وسطى بين النوعين الأولين من الغرائز وهي الغرائز المحافظة على النوع، وغرائز تحسين الأوضاع المجتمعية، بالطبع نجد أن "كونت" حرص على استخدام الغرائز الاجتماعية كمفهوم حلل من خلاله طبيعة الدوافع والحوافز الإنسانية التي تدفع كل من الإنسان والمجتمعات، وسعيهما للتغير والتطور والتقدم، وهذا ما يجعل علم الاجتماع حريص للاهتمام بمناهج العلوم الاجتماعية الأخرى كعلم النفس على سبيل المثال[2].

[1]- عبد الله محمد عبد الرحمان: النظرية في علم الاجتماع"النظرية الكلاسيكية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2006، ص130.

[2]- عبد الله محمد عبد الرحمان: النظرية في علم الاجتماع"النظرية الكلاسيكية"، المرجع السابق، ص ص131،132.

نمط المجتمع عند "أوغست كونت":

المجتمع:

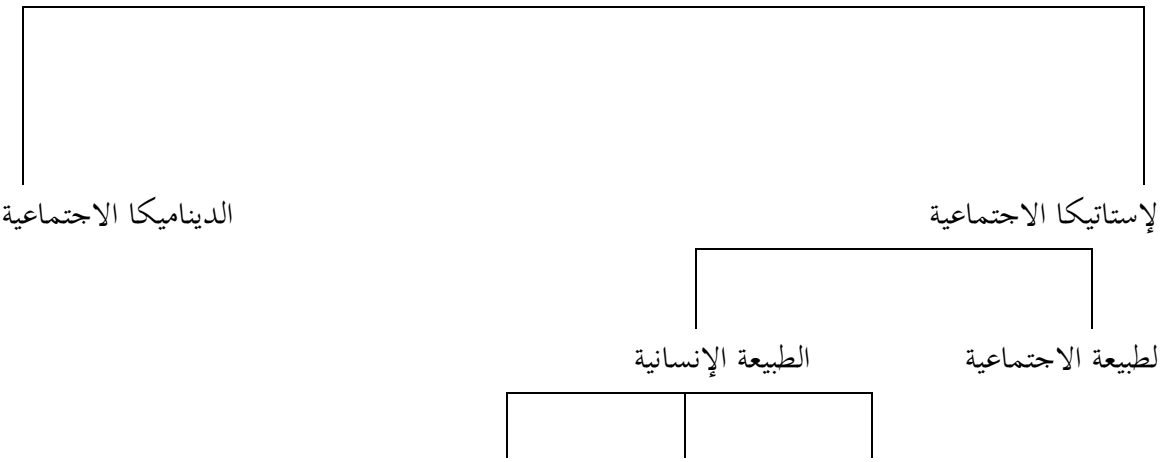

1/الدين.	التعبير والفهم	الشجاعة
2/الفن.		الحيطة
3/الأسرة.		
4/الملكية.		
5/التنظيم الاجتماعي.		

والأخلاق.

مراحل التطور الثلاث:

"الغائية والميتافيزيقية والوضعية".

التقدم وليد الضعف الإنساني.

الحركة نحو سيطرة علم الاجتماع:

الحضارة.

"حكم علم الاجتماع".

الفصل بين السلطات الكنسية والعسكرية.

الأنانية	- قوانين التغير الاجتماعي.
الغيرية	- عرض لمعالم البارزة في التاريخ.
	- التقدم والتنبؤ.
	- البيانات وتحليلها.
	- التقدم الفكري والمبادئ
	- التغير الذي ينجم عن الضجر ومعدل الوفيات.
	- التراعات من مستوى الغرائز لدينا الغرائز العليا من خلال

الشكل رقم (1)[1]

[1]-نقلا عن: عبد الله محمد عبد الرحمان: النظرية في علم الاجتماع"النظرية الكلاسيكية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2006، ص135.

الخاتمة

الخاتمة:

يقولون تعتبر آراء كل عالم وليدة ظروف عصره الذي عاش فيه وتأثر به، وهذا ما ينطبق بوضوح على "أوغست كونت" فجاءت كتاباته لتفسير طبيعة البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية التي تحيط به، وبالأخص "أوغست كونت" كانت تحليلاته معاصرة لفترات حاسمة مرت بها فرنسا خاصة وأوروبا عامة تلك الفترة اتسمت بعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

باعتبار أن "أوغست كونت" هو أول من استخدم"علم الاجتماع" فلا يسعنا إلا القول أنه كان له تأثير قوي على منظري علم الاجتماع خاصة "هاربرت سبنسر" و "إميل دور كايم"، كما تعتبر أعمال "كونت" على أنها رد فعل ضد الثورة الفرنسية وحركة التنوير، ويعتبر "كونت" حركة التنوير سببا رئيسيا للثورة الفرنسية، وقد قام "كونت" بتطوير وجهة نظره العلمية -المعروفة باسم الوضعية أو الفلسفة العلمية-.

ولا يسعنا إلا القول أن "كونت" قد استهدف الفكر الوضعي للحفاظ على ما هو كائن. ونظر إلى إيمانه أن العالم مسير بأفكار، فقد اعتقد الفوضى الفكرية تنتج فوضى اجتماعية. وهكذا رأى المهمة الملحة في تلك الفترة، هي إخضاع الظواهر الاجتماعية لقواعد المعرفة العلمية بغية إنتاج معرفة اجتماعية منظمة تكون مقبولة من طرف الجميع، وعلى هذا الأساس فعلم الاجتماع باكتشافه لقوانين عامة تحكم الظواهر الاجتماعية، سوف يحد من التدخل السياسي للأفراد والجماعات، ومن خلال ذلك يعم موقف الخضوع اتجاه الظواهر المحكومة بقوانين، مما يساعد على إقامة نظام أخلاقي.

كما نستخلص من الدراسة المتأنية والعميقة التي قمنا بها، ووصلنا في نهاية المطاف إلى الهدف المرجو أو المسعى الذي مفاده أن "أوغست كونت" أعطى وأبدع مفاهيم ودلالات استفاد منها الفكر البشري لما أنتجه من مضامين وآليات جديدة عجز غيره عن إنتاجها. الأمر الذي جعل الكثير من العلماء والفلاسفة يتأثرون به ويتبنون ما أتى به وخاصة فيما يتعلق بالتفكير الاجتماعي، أو ما نطلق عليه الظواهر الاجتماعية.

فقد قام "كونت" بإعادة النظر في الظواهر الاجتماعية ومحاولة جعلها مواكبة لتطور الفكر البشري، أي أن يجعلها ذات صيغة علمية شأنها شأن الظواهر البيولوجية تخضع للقانون المخبري، باعتبارها متعلقة بالفرد كذات فاعلة في المجتمع فهي تؤثر وتتأثر بهذا الأخير. كما أن "كونت" أراد أن يجعل المجتمع يسير وفق منظور النظام ولا يكون إلا بتخطي كل الصعوبات والعراقيل التي يفرضها المجتمع وتفرضها الطبيعة، لذلك كان هدفه هو إنشاء مفاهيم تسهل عملية الدراسة العلمية للظاهرة الاجتماعية وركز على إعادة النظر في نظام المعرفة باعتباره الوسيلة المثلى لتلك العملية، لأن أي معرفة لا تصبح علما إلا إذا كانت قد بلغت المرحلة الوضعية من تطورها أي حين تصبح قادرة على أن تنظر إلى موضوعات دراستها، وأقام علم وضعي مرتبط بالمجتمع وأسسه على منهج علمي يكون مثله مثل العلوم الرياضية والطبيعية وتكون نتائجه يقينية باعتبارها قائمة على معيار وضعي يبدأ من الملاحظة التي تعتبر عنصر مهم من عملية البحث لتأتي بعدها التجربة التي هي الأساس، ولا تكتمل المعرفة الوضعية إلا إذا قيست بمقياس المقارنة أو ما يعرف بالمنهج المقارن ولا ننسى أن نذكر منهج آخر استعمله "كونت" وهو المنهج الإسترادادي أو التاريخي الذي اعتبره "كونت" وسيلة لدراسة المجتمع.

ولقد كان تخصص "كونت" في دراسة علم الاجتماع نابع من رغبته أو حاجته الجامحة في إصلاح مجتمعه من خلال دراسته واستيعاب طبيعة ومشكلات المجتمع الفرنسي ووضع معايير ومبادئ يمشي عليها المجتمع الفرنسي في ظل ما يعيشه.

أما في الفكر العربي الإسلامي فنجد العلامة "ابن خلدون" هو السباق في طرح موضوع علم الاجتماع برغم كل ما ينسب إلى "كونت" أنه هو الفيلسوف الوحيد الذي طرح مشكلة علم الاجتماع إلا أنه هناك معطيات تسقط هذه الفرضية والتي مفادها أن علم الاجتماع بدأ مع "ابن خلدون" الذي أعطى مدلول أو مفهوم للظواهر الاجتماعية أو ما أطلق عليه علم العمران البشري الذي قام بواسطته دراسة أحوال الشعوب وأهم مميزاتهم، والخصائص التي تبرز العادات والتقاليد التي

تتحكم في علاقات وتصرفات المجتمع الواحد وكان ذلك بالاعتماد على ما يعرف عنده بالمنهج التاريخي العلمي الذي أنتجه "ابن خلدون" ومفاده أن كل الظواهر الاجتماعية ترتبط ببعضها البعض، فكل ظاهرة لها سبب وهي في ذات الوقت سبب للظاهرة التي تليها.

وعلى هذا الأساس يتضح لنا أن دراسة الظواهر الاجتماعية قديمة قدم الإنسان، بدأت بوادرها بالظهور مع "ابن خلدون" الذي سبق "كونت" بخمسة قرون، والملاحظ في مجتمعنا العربي الإسلامي أن "ابن خلدون" لم تلقى دراساته القدر الكافي من الاهتمام وهذا ما أدى إلى تهميش و تغييب من الأوساط العربية لهذه الأفكار القيمة، والتي قام "كونت" بأخذها والتغيير في بعض مضامينها ونسبها إليه، وبالتالي نسب هذا العلم عربي النشأة إلى العالم الغربي.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

1/ أوغست كونت: في ميزان الفكر الاجتماع الغربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،(ط1)، 1949.

2/ إيان كريب: النظرية الاجتماعية"من بارسونز إلى هابرماس"، تر:محمد حسين غلوم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (د ط)، 1999.

3/ بيار ماشيري: كونت"الفلسفة والعلوم"، تر:سامي أدهم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، (ط1)، 1994.

4/ بيتر كوزمان وآخرون: أطلس الفلسفة، تر:جورج كتوره، المكتبة الشرقية، علي مولا، بيروت، لبنان، (ط2)، 2007.

5/ جورج سيتزر: رواد علم الإجتماع، تر: محمد الجوهري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، (ط1)، 2006.

6/ جوناثان تيريتز: بناء نظرية علم الإجتماع، تر: محمد سعيد فرح، منشأة المعارف، الإسكندرية، (ط2)، 2000.

7/ جيل فيريول: معجم مصطلحات علم الاجتماع، تر: أنسام محمد الأسعد، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (ط1)، 2011.

8/ ج.بتروني: مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، تر: عبد الرحمان بدوي ومحمد ثابت الفندي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د،ط)، 1964.

9/ فيليب جونز: النظريات الاجتماعية والممارسات البحثية، تر: محمد ياسر الخواجة، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، (ط1)، 2010.

10/ ليفي بريل: فلسفة أوغست كونت، تر:محمود قاسم والسيد محمد بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (ط2)، 1952.

11/ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، (ط5)، 1986.

قائمة المراجع:

1/ أحمد الخشاب: التفكير الاجتماعي"دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية"، دار النهضة العربية، بيروت، (د،ط)، 1981، ص545.

2/ أحمد خضر: اعترافات علماء الاجتماع"عقم النظرية وقصور المنهج في علم الاجتماع"،سلسلة المنتدى الإسلامي، القاهرة،(ط1)، 2000.

3/ إبراهيم إبراش: المنهج وتطبيقاته، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان،(ط1)،2009.

4/ إبراهيم عيسى عثمان: الفكر الاجتماعي والنظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع، دار الشروق للتوزيع والنشر، عمان، الأردن، (ط1)، 2009.

5/ جازيةكيران: محاضرات في المنهجية لطلاب علم الإجتماع، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د ط)، 2008.

6/ حسين عبد الحميد أحمد رشوان: نظرية المعرفة والمجتمع"دراسة في علم إجتماع المعرفة"، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية، (د،ط)، 2008.

7/ درية السيد حافظ: علم الاجتماع بين الواقع والنظرية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، (د،ط)، 2012.

8/ سامية محمد جابر: الفكر الاجتماعي"نشأته واتجاهاته وقضاياه"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د،ط)، 2008.

9/ صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع في عالم متغير، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، (ط1)، 1991.

10/ عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د،ط) 1981.

11/ عبد الرحمان بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت، (ط1)، 1975.

12/ عبد القادر بشته: الإبستيمولوجيا"مثال فلسفة الفيزياء النيوتينية"، دار الطليعة، بيروت، لبنان، (ط1)، سبتمبر 1955.

13/ عبد الله محمد عبد الرحمان

14/ عبد الهادي الجوهري: أصول علم الاجتماع، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، (ط9)، 2000.

15/ عدناني رزيقة: الكافي في الفلسفة، الجزائر، (ط3)، 2004.

16/ عقيل حسين عقيل: فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مدبولي، جامعة الفتح، (د.ط)، 1999.

17/ علي غريب: علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية المحدثة، مخبر علم الإجتماع والإتصال للبحث والترجمة، جامعة منتوري، قسنطينة، (د،ط)، 2007.

18/ غني ناصر حسين القريشي: المداخل النظرية لعلم الاجتماع، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، (ط1)، 2011.

19/ ماهر عبد القادر محمد: فلسفة العلوم"المشكلات المعرفية"، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، (ط2)، 2000.

20/ محمد أحمد بيومي: تاريخ التفكير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د،ط)، 2008.

21/ محمد الجوهري: المداخل إلى علم الاجتماع، القاهرة، (ط1)، 1984.

22/ محمد إبراهيم عبد المجيد: علم الاجتماع"النشأة والتطور، المشكلات الاجتماعية"، مؤسسة رؤية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، (ط1)، 2007.

23/ محمد عبد الله الشرقاوي: مدخل نقدي لدراسة الفلسفة، دار الجيل، بيروت، (ط2)، 1999.

24/ محمود عودة: أسس علم الاجتماع، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، (د،ط)، (د،س).

25/ نبيل عبد الحميد عبد الجبار: تاريخ الفكر الاجتماعي، دار دجلة ناشرون وموزعون، الأردن، (ط1)، 2007.

26/ يحي مرسي عيد بدر: علم الاجتماع"مقدمة في سوسيولوجيا المجتمع"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،(ط1)، 2008.

قائمة المعاجم والموسوعات:

1/ أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، (د،ط)، (د،س).

2/ إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، (د،ط)، 1983.

3/ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (ج1)، دار الكتاب اللبنانية، بيروت، لبنان، (د،ط)،1982.

4/ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (ج2)، دار الكتاب اللبنانية، بيروت، لبنان، (د،ط)،1982.

5/ عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، (ج2)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (ط1)، 1984.

6/ محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، (د،ط)، 1999.

7/ مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (ط5)، 2007.

قائمة المذكرات:

1/ بن عودة أمال وتاجي فاطمة الزهراء: نظرية المعرفة عند أوغست كونت، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في فلسفة العلوم، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2015/2014.

2/ طالبي عبد الحق: المنهج الأركيولوجي في فلسفة ميشال فوكو، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، جامعة المنتوري، قسنطينة، 2011/2010.

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام:

1/ أبو حيان التوحيدي: 922-1023م فيلسوف متصوف وأديب بارع، من أعلام القرن الرابع الهجري، عاش أكثر أيامه في بغداد، وإمتاز بسعة الثقافة وحدة التفكير.

2/ ابن خلدون:1332-1406م مؤرخ وفيلسوف وعالم اجتماع، عربي الأصل ولد بتونس، يعتبر أبو علم الاجتماع، ذو نزعة علمية متقدمة، هو من أقام علم العمران البشري، وأهم مؤلفاته"كتاب العبر" و"المقدمة" الشهيرة.

3/ ابن سينا:908-1037م فيلسوف فارسي وطبيب، أقام مذهبا فلسفيا في الوحدانية يقترب أقصى حد ممكن من تركيب يؤلف بين مبادئ الإسلام وتعاليم أفلاطون وأرسطو.

4/ إيميل دور كايم:1596-1650م فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي ذو نزعة وضعية من أهم مؤلفاته "قواعد المنهج لعلم الاجتماع"وهو تلميذ لأوغست كونت.

5/ إيمانويل كانط: 1724-1804م ولد بكونجسبرج، أثر في تفكيره تياران رئيسيان: أحدهما النزعة العقلية والأخرى النزعة التجريبية، أهم مؤلفاته:"نقد العقل الخالص" و "نقد العقل العملي".

6/ إيميل بوترو:فيلسوف فرنسي ومؤرخ للفلسفة، ولد في ضاحية "مونروج" في باريس سنة 1845م وتوفي في باريس سنة 1921م، له نشاط فلسفي في ميدان تاريخ الفلسفة وخاصة الألمانية، وفلسفة العلوم.

7/ أرون ريمون: من كبار ممثلي الأنتلجنسيا في فترة مابعد الحرب العالمية الثانية 1905-1983م، أول كتاب نشره هو"مدخل إلى فلسفة التاريخ 1938م وكتاب"أفيون المثقفين 1955م.

8/ باور برونو: فيلسوف ومؤرخ وناقد ألماني، عاش مابين 1809-1882م، عارض الأفكار الليبرالية، طالب بفصل الكنيسة عن الدولة.

9/ جورج باركلي:1685-1753م ولد بإيرلندا، من أهم مؤلفاته "أصول المعرفة البشرية"وكتابه "ثلاث محاورات بين هيلاس وفيلونوس".

10/ جون جاك روسو: 1712-1778م كاتب فرنسي، وله عدة روايات منها رواية"الواز الجديدة"، وهو أحد فلاسفة العقد الاجتماعي.

11/ جون ستيوارت ميل: 1806-1873م ولد في لندن، فيلسوف تتلمذ على يد والده "جيمس ميل"، من أشهر مؤلفاته كتاب"مذهب في المنطق القياسي والاستقرائي"و"الاقتصاد السياسي".

12/ جاليلو جاليلي: عالم إيطالي ولد سنة 1564م في بيزا ومات سنة 1642م في فلورنسا، درس مشكلات الفلسفة الطبيعية، كما اكتشف عدة ظواهر فيزيائية.

13/ رودولف كارناب: ولد في ألمانيا عام 1891م، فيلسوف ألماني، كان كاتب غزير الإنتاج في نظرية المعرفة والمنطق الرياضي وفلسفة العلم وأسس الاحتمال والاستقراء، أهم مؤلفاته:"البناء المنطقي للعالم 1928م" ويعتبر من أبرز ممثلي الوضعية المنطقية.

14/ رايشنباخ هانز: فيلسوف ومنطقي ألماني ولد في هامبورغ عام 1891م، وتوفي في لوس أنجلس عام 1953م، عضو في حلقة فيينا، من أشهر مؤلفاته:"أكسيوماتيك الأهداف والطرق في فلسفة الطبيعة المعاصرة عام 1931م"، و"المنطق الاحتمالي عام 1933م"، و" النظرية الاحتمالية عام 1935م".

15/ ديكارت روني: 1596-1650م من كبار الفلاسفة الفرنسيين، ذو نزعة عقلانية، ويلقب بأبو الفلسفة الحديثة، من أهم مؤلفاته "التأملات"و"مبادئ الفلسفة".

16/ كارل ماركس: 1818-1883م ولد بمدينة ترير في ألمانيا، فيلسوف وعالم اجتماع.

17/ فولف كريستيان فون: فيلسوف وعالم رياضي ألماني، ولد سنة 1679م في فروكلاف"سيليزيا"، وتوفي سنة 1745م في هال، يعتبر مبدع اللغة الفلسفية الألمانية، ومن تلاميذه:"إيمانويل كانط" ثم ناقده في عقلانيته الخالصة.

18/ فيسك جون: فيلسوف أمريكي، ولد في هارتفور بكونكتيكوت سنة1842م، وتوفي سنة 1901م، يعتبر أحد المدافعين المتحمسين عن نظرية داروين وسبنسر في النشوء والارتقاء. ألقى العديد من المحاضرات عن الفلسفة الوضعية عام 1872م. كما أصدر مبادئ الفلسفة الكونتية.

19/ سان سيمون: 1760-1825م فيلسوف فرنسي ورئيس مدرسة سياسية اجتماعية، من دعاة الإشتراكية الخيالية، ويعتبر أستاذ لأوغست كونت.

20/ سبنسر هاربرت: 1820-1903م فيلسوف انجليزي، نال شهرة كبيرة في النصف الأخير من القرن ال19، أشهر كتبه"مذهب الفلسفة التركيبية" و"المبادئ الأولية".

21/ مونتيسكيو: كاتب أخلاقي ومفكر وفيلسوف فرنسي، ولد عام 1689م في قصر دي لابريد قرب بوردو، ومات عام 1755م في باريس، درس القانون في بداية مشواره، بعد ذلك رقي إلى منصب رئيس بقبعة للقضاة في المحكمة العليا، كما درس العلوم الفيزيائية والطبيعية.

22/ ليبنيتز جوتفريد فلهلم: 1646-1716م فيلسوف ألماني، درس فقه القانون، وكان رياضيا وعالما من الطراز الأول، شاطر "نيوتن"، إمتاز بمذهبه الميتافيزيقي.

23/ كوندورسيه: فيلسوف ورياضي ورجل سياسة فرنسي، ولد عام 1743م ومات عام 1794م، لمع في مجال الرياضيات، ويعتبر من أشد أنصار "فولتير".

24/ هيوم دافييد: 1711-1776م ولد في إسكتلندا، فيلسوف دامت شهرته طويلا، من أهم مؤلفاته:"رسالة في الطبيعة الإنسانية".

خطة البحث

خطة البحث:

الشكر والتقدير:

الإهداء:

مقدمة:.....1

الفصل الأول:جينالوجيا وكرونولوجيا.....6

المبحث الأول:شبكة المفاهيم.....7

المبحث الثاني:الفضاء الكرونولوجي للفيلسوف.....14

المبحث الثالث:فلسفته ومنهجه.....18

الفصل الثاني:الفلسفة الوضعية وإمكانية الدراسة العلمية لعلم الإجتماع.....24

المبحث الأول:العوائق الإبستمولوجية للظاهرة السوسيولوجية عند أوغست كونت...25

المبحث الثاني:تجاوز العوائق الإبستمولوجية في علم الإجتماع 29

المبحث الثالث:الموضوعية في الظاهرة الإجتماعية.....40

الفصل الثالث:نظرية المعرفة وتطورها عند أوغست كونت.....44

المبحث الأول:نظرية المعرفة و إشكالية المنهج.....45

المبحث الثاني:نشأة العلم ومراحله.....53

المبحث الثالث:القوانين الإجتماعية.....61

الفصل الرابع:مفهوم علم الإجتماع عند أوغست كونت بين القبول والرفض.....65

المبحث الأول:نقد الفلسفة الوضعية.....66

المبحث الثاني:البديل المعرفي للفلسفة الوضعية.....74

المبحث الثالث:آفاق البحث.....86

خاتمة:.....92

قائمة المصادر والمراجع:.....97

فهرس الأعلام:.....103

خطة البحث:.....107